الفنون الشعبية

العدد السادس • أيار ١٩٧٥



الفنون الشعبية

مجلة متخصصة تصدر كل ٣ أشهر عن
دائرة الثقافة والفنون
عمان ـ الاردن
ص٠ب ٦١٤٠

العدد السادس ● أيار ١٩٧٥

الموزعون
وكالة التوزيع الاردنية ـ عمان
هاتف ٣٠١٩١ ـ ص.ب ٣٧٥

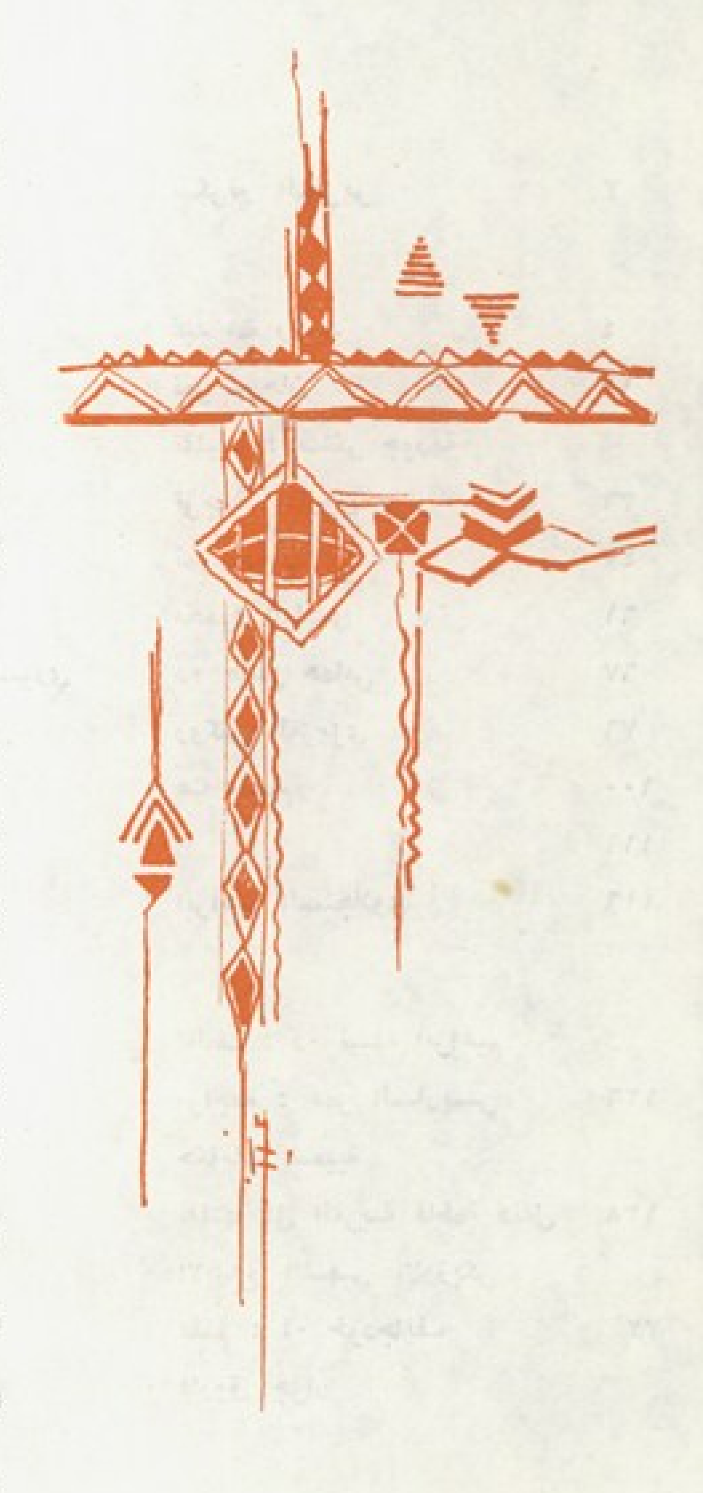
الطابعون
جمعية عمال المطابع التعاونية
عمان ـ هاتف ٣٧٧٧١

ثمن النسخة في الاردن ٩٠ فلسا
الاشتراك السنوي (اربعة أعداد) ٥٠٠ فلس

في هذا العدد

الموضوع	الكاتب	الصفحة
الافتتاحية		
ـ الفولكلور المحلي في المراجع الاجنبية	سكرتير التحرير	٢
الابحـــاث		
ـ الاحياء الشعبية القديمة في مدينة عمان	عبد الله رشيد	٤
ـ الاصـــل	نمر سرحان	١١
ـ دراسة الفولكلور الهندي	تاليف : سنكر جورية ترجمة : فاروق جرار	٣٦
ـ الاكل الشعبي	نمر حجاب	٤٧
ـ صلاح عشائري في صفد	محمود العابدي	٦١
ـ الحركة الفولكلورية في القطر العربي السوري	د. حسن حمامي	٦٧
ـ الشعر الشعبي البدوي	روكس العزيزي	٧٦
ـ تقاليد الزواج في لفتا	هنا صيام	١٠٠
ـ الشاعر الشعبي عبد اللطيف العجاوي		١١١
ـ الرقى والتعاويذ في شمال الاردن	ابراهيم السنجلاوي	١١٦
عالم الفنون الشعبية		
ـ قصصنا الشعبي	تاليف : د. نبيلة ابراهيم مراجعة : عمر الساريسي	١٢٦
ـ ملف النصوص	حكايات شعبية نقلتها الى العربية فاطمة دنقل	١٢٨
ـ رسالة موسكو	الابداع الشعبي الاوزبكي بقلم : ا. خودجايف	٣٢
ـ الملخص الانجليزي	فاروق جرار	

الفولكلور المحلي في المراجع الأجنبية



هناك اعتقاد شائع بان مظاهر الحياة الشعبية تسير في طريق التقهقر والانقراض ، وأنه اذا لم يتم جمع المعلومات المتعلقة بها ودراستها في وقت مبكر فان تلك المظاهر ستضيع وتتلاشى وبالتالي تفقد ملامح حياة شعبنا في فترة من فترات تاريخ حياته .

ان هذا الكلام لا يخلو من الصحة ، لكنه ينظر للموضوع من زاوية واحدة ، زاوية اننا نعيش في فراغ ، وان ملامح حياة شعبنا اذا لم تدرس بواسطة دارسين محليين فان الثقافة الشعبية بالتالي ستضيع. لكنه يتوجب على المهتمين بدراسة الثقافة الشعبية أن يضعوا باعتبارهم ان هناك عشرات المستشرقين ، المستعربين ودارسي الفولكلور المحلي بطريق الصدفة أو منطلق الهواية ،

والذين أضافوا اضافات ثرية لدراسات تراثنا الشعبي .

وعلى سبيل المثال نذكر أن كاتبا المانيا واحدا هو الدكتور جوستاف دالمان قد كتب كتابا من ثمانية أجزاء عن العمل والعادات تزيد صفحاته عن ثلاثين ألف صفحة . وكذلك فان دارسين آخرين مثل كالمه ، شمدت .. الخ قد سجلوا أدق تفاصيل اللهجة المحلية في نصوص الأغاني ، الشعر ، الحكاية والأمثال باللغة الأجنبية وكذلك بنصها العربي مكتوبا بالحرف اللاتيني وضمن نظام نطق للحروف والحركات يؤدي للوصول الى حقيقة اللفظ بطريقة تفضل أسلوب كتابة اللهجة المحلية بالعربية .

هذه مجرد أمثلة على ذلك الحشد الهائل من الكتب والدوريات المتخصصة في الفولكلور التي تغطي شتى الجوانب من حياة شعبنا .

ان تلك المكتبة الفولكلورية الهائلة تستحق من دارسي الفولكلور المحلي أن يلتفتوا اليها وأن ينهلوا من مواردها الشيء الكثير على اعتبار أن مادتها تكمل الدراسة الميدانية المعاصرة والتي يقوم بها دارسون محليون لمظاهر الحياة الشعبية المحلية .

و « الفنون الشعبية » تفتح صفحاتها لمثل تلك المواد سواء تناولها الكتاب بأسلوب الترجمة الدقيقة أو أساليب العرض والتلخيص ، ففي مثل تلك الدراسات اضافة غنية لمجهودات احياء التراث .

سكرتير التحرير

الأحياء الشعبية القديمة في عمان

عبد الله رشيد

في هذا المقال نبذة عن الاسماء القديمة للاحياء الشعبية في المدينة وصورة بسيطة للطراز الشعبي للعمارة والتجمعات السكانية القديمة ومن ثم لمحة عن الاسواق ومواقعها :

جبل عمان : جبل الملفوف ·

جبل الحسين : جبل الطهطور نسبة لاثر بناء قديم منذ زمن الرومان ·

جبل الهاشمي : خنيفسه ·

جبل الاشرفية ، الرسيسية ·

جبل التاج : الخريطة ـ بتسكين الخاء والياء ·

جبل اللويبدة : سمي بهذا الاسم نسبة للحيوانات المفترسة التي كانت (تلبد) فيه في حين يقول الاستاذ محمود العابدي انه سمي كذلك بسبب نبات عشبة فيه اسمها اللويبدة ·

جبل القصور : الهاشمية ·

جبل الجوفة : جبل الجوفة وسمي بذلك نسبة لكثرة التجاويف القديمة فيه ·

جبل النصر : وادي ام الرمم ·

جبل النظيف : راس العين (ويروي لي السيد حمد سالم الدبوبي ـ ٣٨ سنة ـ عن والده المتوفي أن جلالة الملك عبد الله بن الحسين قد زار اهالي هذه المنطقة وكان يسكنها البدو والشوام والقيسية ، فلما سالهم عن اسم الحي الذين يعيشون فيه اجابه البعض بان لا اسم له الا منطقة راس العين فاطلق الملك عليه اسم جبل النظيف بسبب عدم وجود غرباء بينهم من خارج الاردن ·



راس العين : راس العين بسبب وجود عيون الماء فيه .

المهاجرين : نسبة الى الشراكسه الذين هاجروا الى الاردن في عام ١٨٧٢ . جبل المريخ : قبيب الغوله ـ وقد روى لي ذلك جدي الحاج محمد الرشيد البدوي انه كان يسمى بهذا الاسم عند البعض منذ اكثر من خمسين عاما ـ عمره ٨٦ سنة ـ .

جبل القلعة : جبل القلعة نسبة الى القلعة الرومانية الموجودة حاليا . جبل الشميساني : جبل الشميساني

حي وادي سرور : وادي سرور نسبة الى عائلة سرور .

حي السيل : حي السيل ـ نسبة الى سيل عمان الحالي .

حي وادي الحدادة : بستان قعوار نسبة لجد آل قعوار .

حي الدبايبة : حي الشعيلية ـ في حين كان يطلق عليه البعض مقتل ابو الفيلات ويروي الكثيرون انه سمي بذلك نسبة الى موقع قتل فيه رجل من عائلة ابو الفيلات قديما .

ماركا والرصيفة : ماركا وكذلك الرصيفة نسبة الى الطرق التي كانت مرصوفة بالحجارة القديمة هناك .

المحطة : المحطة نسبة لمحطة سكة الحديد التي اقامها الاتراك عام ١٩٠٦ تقريبا .

حي المصدار : حي مصدار عيشة نسبة لامرأة كانت تعيش هناك .

طريق السلط : وادي خريس .

طراز العمارة الشعبية في احياء المدينة

عرفت العمارة في مدينة عمان القديمة ثلاثة نماذج من البناء يمكن تصويرها بالشكل التالي :

النموذج الاول :

(لبن الطين) كان هذا النموذج من بناء المنازل تتكون واجهاته الاربع من اللبن الذي يصنع من الطين المخلوط بالتبن والقش ويتكون سقفه من خمس طبقات :

الطبقة الاولى : وقد حدثني الحاج صادق حسين ناصر (٧٥) سنة والذي كان يعمل بناء في ذلك الوقت وما يزال ، يوضع في المرحلة الاولى الخشب العادي (خشب الشجر) وان لم يكن هذا الخشب جاهزا يقوم البناء باحضاره على مسؤوليته او يقوم اهل البيت بتقطيعه .

الطبقة الثانية : توضع فوق الخشب الأول اعواد القصيب المعروف (وقد كانت هذه الاعواد تنبت على جوانب سيل عمان القديم وفي الرصيفة) .

الطبقة الثالثة : تتكون الطبقة الثالثة من نبات الدفلى (او نبات البلان وهو عبارة عن شجيرات صغيرة لا يزيد طولها عن عشرين سم اخضر اللون يغطيه الشوك المدبب وقد كان يستعمل كمكانس للبيوت ايضا) .

الطبقة الرابعة : تتكون من الطين المجبول مع التبن ويصب فوق البلان .

الطبقة الخامسة : تتكون من التراب الاحمر الناشف ثم يرص بواسطة مدحلة حديدية يدوية او مدحلة من الحجر العادي المكور وهكذا ثم يطين مرة أخرى بالتراب المجبول بالماء والتبن .

وقد كان يراعى في البناء عمل شبابيك صغيرة لا تزيد عن نصف متر احيانا طولا وعرضا وارتفاعا ، وبالاضافة الى ذلك فقد كانت ارضية المنزل تسوى بالتراب المجبول عادة (ويلاحظ أن هذا الطراز الترابي من البناء كان يقام فوقه طابق اخر وهذا دليل على متانته وتحمله) .

النموذج الثاني :

(طراز الدبش والحجارة المتوسطة) فقد كانت واجهات المنزل الاربع من هذا الطراز تبنى من الدبش والحجارة المتوسطة والطين المجبول بالتبن ايضا حيث كان عرض الواجهة الواحدة لا يقل عن ٦٠ ـ ٧٠ سم اما السقف فانه لا يختلف في طريقة بنائه عن النموذج الاول باستثناء الخزائن التي كانت تبنى في واجهاته من الداخل وتسمى عادة



(بالمطوى) كانت تستعمل لحفظ الفراش في النهار واحيانا اخرى تستعمل كخزائن توضع فيها حاجيات المنزل ٠

اما الابواب فقد كانت واسعة يزيد طولها عن مترين مقوسة الشكل تشابهها ايضا الشبابيك حيث لا يقل الشباك عن متر او مترين ٠

اما ساحة المنزل فقد كانت تسور بالحجارة العادية او الحجارة المصفوفة المصنوعة من الطين حيث كان يفرد فيها مكان خاص لتربية المواشي والدواجن ٠

النموذج الثالث :

وهو النوع الحديث الذي تبقى منه الكثير حتى الان وهو الحجر النظيف غير المنقوش ويسمى حجر (ابو طبزة) ويبنى هذا النوع من البناء من الطين المخلوط مع الشيد كما أن ميزة هذا البناء الحديث أن سقفه يتكون من شكل قبة يسمى العقد حيث يعمل في جوانبه مخبأ

يسمى (الراوية) تستعمل لخزن المواد التموينية بسعة نصف متر تقريبا وسمكها حوالي ٥ سم ٠

كما يلاحظ أن هذا الطراز من البناء كان يبنى فيه قناطر مستديرة ومقوسة للمنازل الواسعة في اكثر الاحيان ومن اشهر الاشخاص الذين كانوا يقومون باعمال البناء الحاج محمد علي كلبونة منذ عام ١٩٣٠ في عمان ٠

التجمعات السكانية في الاحياء القديمة

كان الشراكسة هم اول من جاء الى المدينة منذ عام ١٨٧٧ تقريبا ، ويروي لي الشيخ عبد الرحمن سرور ٩٠ عاما - انه جاء هو ووالده الى عمان في عام ١٩٠٨ واقاموا في اعلى حي السيل الذي سمي باسم عائلتهم فيما بعد (حي وادي سرور) وقد بنوا فيه بيوتا من الدبش والحجارة

ثم جاءت عائلة اخرى وهي عائلة العيشات حيث سكنت بجوار عائلة سرور وهكذا اخذ الناس يتوافدون على هذا الحي بسبب قربه من السيل ٠

ويقول الشيخ سرور انهم عندما جاءوا لمدينة عمان كانت بعض العائلات تعيش في جبل القلعة (عائلة القيسية والبلبيسي والكساونة) ٠ اما منطقة السيل من الجهة الشمالية فقد كان يسكنها الشوام الذين جاءوا للمدينة بعد الشراكسة مباشرة (عائلات الطباع والبطيخي والشربجي) وهذه العائلات في الواقع هي التي عمرت المدينة حتى وصلت لما هي عليه الان من تقدم في العمران ٠ اما حي المحطة (والكلام ايضا للشيخ سرور) فقد تأسس عندما بدأ الاتراك بمد خط سكة



الحديد حيث كان ينقل اليهم من سيل عمان الرمل النظيف على ظهور الدواب مقابل قطعة ذهبية يوميا تساوي اكثر من دينار تقريبا ٠ واما حي المهاجرين وراس العين فقد كان مجمعا للشركس في ذلك الحين حيث كانوا يقومون ببناء بيوتهم من لبن الطين والدفلى تشاركهم في ذلك زوجاتهم واولادهم ٠

الاسواق الشعبية في المدينة

سوق السعادة وقد سمى بهذا الاسم هكذا دون ان ينسب لاحد ، وقد كان هذا السوق مكانا لبيع الاقمشة والبقالة والحاجيات الاخرى ٠

سوق البخارية وقد سمي بهذا الاسم نسبة الى البخاريين الذين هاجروا الى عمان في بداية الثلاثينات وهو بناء عادي غير مركوب وكان يقع في الساحة الحالية للجامع الحسيني الكبير بعمان اما المحلات التجارية فيه فقد كانت من البناء العادي المتاخر ابوابه من الحديد الجرار ويظلل السوق (جمالون)* وهو عبارة عن صفائح معدنية وسمي جمالون نسبة للجمال العالية ، وقد تخصص هذا السوق في بيع الخردوات واجهزة العرايس ٠

سوق الحلال :

كان سوق الحلال يقع في وسط المدينة وبالضبط مكان المقبرة القديمة بالقرب من شارع الطلياني ، وقد كان يوم الخميس من كل اسبوع هو اليوم المشهور الذي يتساوق فيه الناس في ارض مكشوفة ، حيث كان الخروف الواحد يباع بستين قرشا فقط ، وقد كان التاجر يحضر غنمه للبيع وعندما يريد احد التجار أن يشتري منه كان البائع يقول افصل : فيقول الشاري بكذا فان لم يعجب البائع يقول يرزق الله وينتظر لليوم الثاني حتى يتسنى للرجل الغريب أن يحضر للسوق ويبيع البائع بالسعر الذي يناسبه ٠

ويقول الحاج ابو زيدان الدبوبي ٧٧سنة كان البائع يضع يده في يد الشاري فيقول هذا : افلح فيقول البائع يسر الله يفتح الله ثم يبدأ الشاري بتجديد الثمن وهكذا ٠

وقد كان بائع الغنم يدفع رسوما للبلدية يقال لها (السباج) والجدير بالذكر أن سوق الحلال كان مجمعا لكل التجار الذين يفدون من الزرقاء وسحاب والسلط ومادبا وناعور ومن العراق وسوريا ٠



ويقول ابو زيدان : كـــان من صفات التاجر الناجح أن يــكون جسورا يعرف كيف يســاوم عــلى الربح ولا ينضحك عليه ٠

اما البيع والشراء فهي عمليــة مصايدة او غالب ومغلـــوب الا ان الصدق هي طبيعة المتاجرة ٠

سوق الســكر

وهو السوق الموجــود حاليـا بالقرب من الجامع الحسيني الكبـير حيث كان يباع فيه جميع حاجيـات البقالة فقط وقد سمي بهذا الاســم نسبة لاحد افراد عائلة الســكر في ذلك الوقت ٠

سوق الحدادة

كان هذا السوق موجودا عــلى جانب سيل عمان بالقرب من شارع الملك طلال يتجمع فيه الحـــدادون والبيطريون وبـاعة الخــردوات القديمة ٠

---

(١) هذا الاسم متعامل به رسميا في اقسام الخرائط والتخمين ٠

(٣) وايضا هذا الاسم ما زال موجودا على خرائط دائرة الاراضي والمالية ٠

* روى لي السيد هاني محيسن (٣٨) سنة انه قد زار الملك عبد الله في الثلاثينات ضيف اجنبي وقد مرا بالطائرة من فوق المدينة ولم يشاهد الضيف من عمان سوى هذه الصفائح المعدنية فسأل عن المدينة مما دفع بالملك عبدالله أن يامر بازالة هذه المظلات من الشوارع ٠

* أما سوق الجمال فقد كان موقعه في حي المصدار بالقرب من دير اللاتين الذي لم يكن موجودا آنذاك ٠



الأصل

نمر سرحان

تحتل مسالة الاصل ، والتي تعني ببساطة واختصار النسب والانتساب لجماعة معينة ، أهمية خاصة لدى الناس في الوسط الشعبي • واعتنى الناس بانسابهم وأخبار اصولهم ولقنوها للابناء والاحفاد • ومن الحمائل ما احتفظت بشجرة نسب الاسرة التي تبين الاصول والفروع •

وقد ترتب على مسالة الاصل هذه امتيازات معنوية ومادية ، كما سنرى عند حديثنا عن الاشراف الذين توارثوا الالقاب وتوارثوا معها الامتيازات •

وفي الطبقات الشعبية ترتب على مسألة الاصل أمور هامة تتعلق بالمصاهرة التي غالبا ما كانت تنحصر ضمن الحمولة للحفاظ على الاصل • ويتفاخر الناس في الوسط الشعبي بأنسابهم ويزدرون من هم أقل نسبا •

ان الذي يهم الناس في الوسط الشعبي هو انك : لمن تنتسب ؟ وما هو الاصل الذي تحدرت منه ؟ وجوابا على مثل ذلك السؤال يتوقف الكثير في الحكم عليك • ولذلك نرى الناس يتساءلون عن الشخص الغريب قائلين : « منين انت بلا زغرة »(١) •

ويحترم الناس الشخص المتحدر من عشيرة معروفة ، بينما ينظرون نظرة استخفاف للشخص المجهول النسب •

وأذكر هنا هذه الحادثة التي تشهد بما أقول • والحادثة أرويها

---

(١) من اين انت مع التحفظ بان ذلك لا يصغر من مقامك • ونحن نلاحظ مسالة التحفظ هذه ، ومرد ذلك عائد الى أن الناس كانوا يخشون الافصاح عن نسبهم مخافة أن يكون هناك من يتربص، للاخذ بالثار •

عن والدتي • وملخص الحادثة أن محمد الاعرج ذهب الى قرية مسكة بقضاء طولكرم في العقد الاول من هذا القرن ، فسألوه عن اصله فاخفى الامر لأنه كان قد تخلى عن عشيرته لأنهافضلت غيره عنه في مسألة زواج• ثم سألوه ان كان يتقن عملا ما ، فأخبرهم أنه حلاج • وهكذا اصبح الغريب مجرد حلاج •

وبعد مدة أراد أهل مسكة أن يختبروا الغريب فدسوا له داخل الصوف المعد للحلج «صرة مصاري»• وهنا عرف محمد الاعرج حقيقة نوايا القوم ، فكاشفهم في الامر وقال :

ـ انتو بتفكروا أنا من طرف ؟ أنا ابن أصل ! واصلي بردني (٢) •

وهنا تظاهر القوم بأنهم نسوا النقود في الصوف ، ثم زوجوه ابنتهم وصاهروه بعد أن عرفوا انه من ال التميمي المتحدرين من تميم الداري أحد صحابة رسول الله ، والمقيمين في ذلك الوقت في دير نظام بقضاء رام الله •

ولا تتوقف مسألة ازدراء ذوي الاصل المنحط على الجانب المعنوي بل ينسحب ذلك على أمور أخرى ، منها أن الرجل الذي لا اصل له : « بنجرش(٣) عليه سلاح وما يستاهل(٤) تناسبه(٥) » •

حتى عند تقديم القهوة يختلف الرجال(٦) ، ففي الديوان يقال لزائر عادي « قدم قهوة » و (أرفع قهوة) للاشراف ولكبار العلماء ونقيب الاشراف والامراء حسب السن وشيوخ النواحي وكبار التجار •••

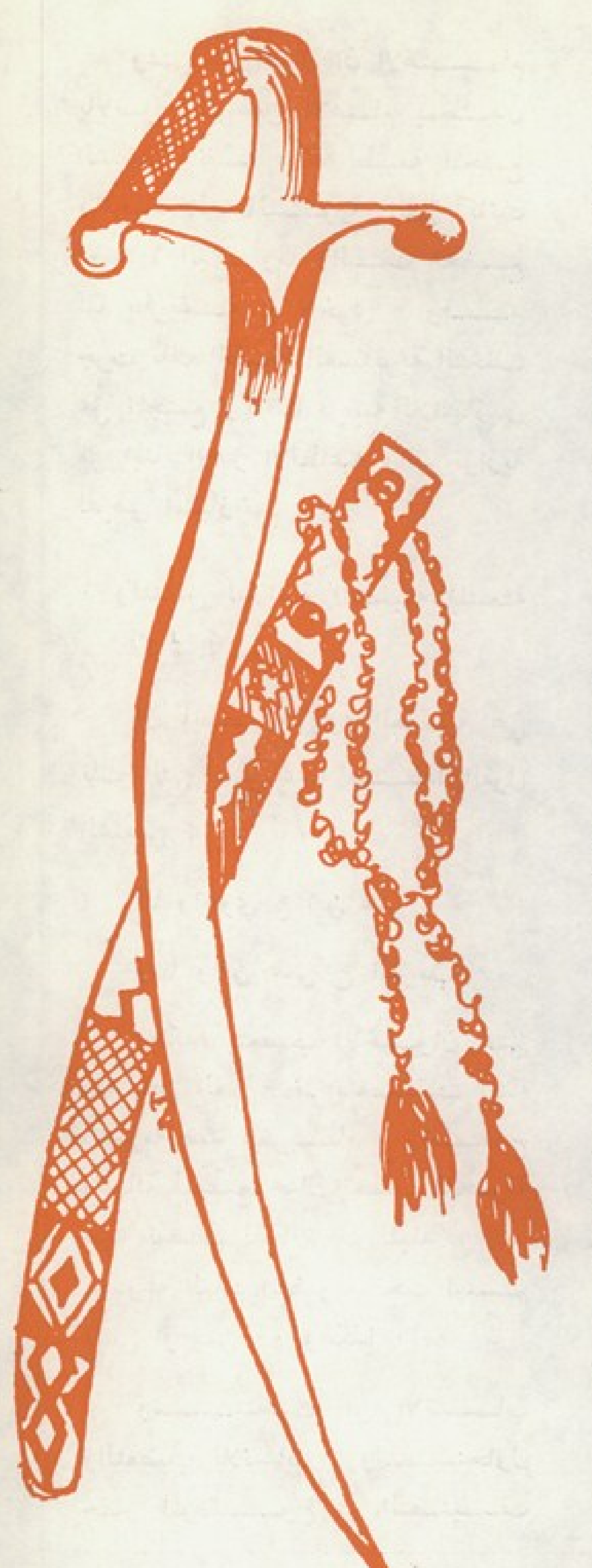
ويمدح الشاعر الشعبي الاسر ذات الاصل الطيب فيقول :

بيت الاصل باقي متين الدعامة
راسي وما يهتز مهما صار

ويسعى الناس في الوسط الشعبي للفوز بالزواج من ابنة الاصل • وهم يشبهون المرأة الاصيلة بالفرس الاصيلة التي تسبق الجياد الاخرى ولها ميزات محببة لدى الناس • والمرأة الاصيلة هي (المعممة المخولة) اي التي يكون عمها وخالها من اصل طيب • وتأتي أهمية الخال قبل أهمية العم • وفي قول شعبي

---

(٢) انا لست من طرف الحمائل بل ابن اصل شريف ، واصلي يمنعني من السرقة •
(٣) لا يسحب السلاح لمحاربته •
(٤) يستحق •
(٥) تصاهره •
(٦) احسان النمر ، تاريخ جبل نابلس والبلقاء ص ٤٦٢ الجزء الثاني •



مأثور : « عليك بخال الخال يا طالب العلى » •

ومن صفات المرأة الأصيلة المهمة أن تحفظ عرضها وكرامة زوجها ، وتخدم زوجها ووالديه ، وتحترم أقاربه وتعتني ببيتها • وتثبت اصالة المرأة في المناسبات التي تبدي فيها موقفا نبيلا ازاء اعتداء قريب او الحاجة الى معونة اهل ونحو ذلك •

وهذه مجموعة من الامثال تتناول مفهوم الاصل :

ـ أصله بيبرده(٧) : عن الشخص الذي يتجنب سواء السبيل ، والامل في عودته للحق •

ـ ع الشروش (٨) بتنبت الاشجار : أصالة الصغار من اصالة الكبار •

ـ أن شح بيجي البذار : الولد مهما تضاءلت امكانياته فانه يصل الى مستوى والده •

ـ امه الثوم وابوه البصل امنين (٩) يجيب الريحة (١٠) الزكية (١١) : ابن الاصل السيء لا يمكن أن يكون ذا صفات طيبة •

---

(٧) يعيده •

(٨) الجذور •

(٩) من اين •

(١٠) الرائحة •

(١١) الذكيه •

وغني عن القول ان الاهتمام بالاصل اكثر من الاهتمام بمعدن الشخص نفسه عائد لطبيعة المجتمع والحياة العشائرية التي كانت تعيشها البلاد وما زالت تخضع لها بطريقة او باخرى . وقد جرت تلك الطبيعة العشائرية التخلف على المجتمع وكانت فرصة للانتهازيين من ابناء الاسر الاقطاعية والبرجوازية لفرض امتيازاتهم .

ولننتقل لدراسة العصبية المنبعثة من فكرة الاصل .

ان أبسط مبادىء العصبية هي تلك التي يعبر عنها هذا القول الشعبي :

أنا واخوي ع ابن عمي

وانا وابن عمي ع الغريب .

وهكذا يتعصب الاخوان حتى ضد ابن العم . ثم يتعصب ابناء العمومة ضد الغرباء . وتتدرج المسالة ليصبح هناك تعصب للحمولة يليه تعصب للحارة ثم للبلد ، ثم لمجموعة البلاد المنضوية تحت اسم قيس او يمن .. وهكذا .

وسنتحدث عن الانساب والتعصب للانساب ، وسنحاول حصر الموضوع في التصنيف الاجتماعي المتبع للناس الى : اشراف نسب ، أشراف سيف ، فلاحين وأقليات .

أشراف النسب :

وهم الذين ينتسبون الى اصول عربية اسلامية شريفة تتصل بصحابة رسول الله وتابعيهم من المهاجرين والانصار على حد سواء .

وقد اورد احسان النمر في كتابه تاريخ جبل نابلس والبلقاء(١٢) كشفا بأنساب الاشراف في جبل نابلس والبلقاء والقسم الذي يلي جبل نابلس من جبل القدس والخليل . اذكر من هذه الانساب على سبيل المثال لا الحصر من المنتسبين للحسن ابن علي ال زيد الكيلاني في يعبد ونابلس والسيلة الحارثية وشيوخ المساعيد في غور الفارعة . ومن المنتسبين للحسين بن علي : الشرفا في قرية بيتا بقضاء نابلس وال مريش في الخليل ونابلس وال البحش وأقاربهم في القدس . ومن الجعافرة ال الحنبلي ومن المنتسبين للعباس بن عبد المطلب ال البسطامي في نابلس . وهناك من ينتسب لعمر ابن الخطاب وابي عبيدة الجراح وابي هريرة والمقداد بن الاسود وعبد الله بن الاخرم الانصاري وتميم الداري .

---

(١٢) النمر ، احسان : تاريخ جبل نابلس والبلقاء ج ٢ ص ١٦٤ ـ ١٧٣ .

وكان يتزعم الاشراف نقيب عام ينتخبه السلطان من بين اهل العلم من الاشراف ومركزه في استانبول وتحصر وظائف هذا النقيب في حماية الاشراف ، ومنع تسلل الدخلاء على النسب ، وكذلك منع من يحاول أن يتزين بالعمامة الخضراء والتي هي رمز لهؤلاء الاشراف • ويذكر اسم سيادة النقيب في الفرمانات والمرسومات بعد القاضي والمفتي وقبل المتسلم والميرالاي • ويحق للنقيب العام اختيار «قائمقام» ينوب عنه في مراكز النقابات الفرعية • وعلى سبيل المثال نذكر أن نابلس كانت مركز نقابة اشراف ويتبعها صيدا ، بيروت ، وبعلبك • وكان الاشراف في نابلس[13] ينتخبون قائمقام النقيب ويوقعون على ضبط يرسلونه مع المنتخب او احد اقاربه الى سيادة النقيب العام في استانبول فيصدر مرسوما بالتعيين •

وقد تمتع هؤلاء الاشراف بالعديد من الامتيازات التي كانت محفوظة لهم في العهد العثماني • وهذه الامتيازات هي :

١ ـ محاكمة الاشراف في بيت سيادة النقيب •

٢ ـ أن لا يسجن الاشراف الا في بيت سيادة النقيب •

٣ ـ لا يسمح لاحد بوضع العمامة الخضراء الا اذا كان من الاشراف وبموافقة سيادة النقيب[14] •

٤ ـ لا يدفع الاشراف شيئا من الضرائب •

٥ ـ لا ينخرط الاشراف في الجردة العسكرية حينما يدعو السلطان لذلك •

٦ ـ لا يشترك الاشراف بدفع شيىء من التكاليف حينما تفرض من السلطان او الولاة •

وظلت امتيازات الاشراف هذه حتى اخر عهد السلطان عبد الحميد ، اذ عندما حصل الانقلاب العثماني كان في مقدمة الاصلاحات الغاء نقابة الاشراف والامتيازات الخاصة بهم • وكانت وجهة نظر الاتحاديين من رجال الانقلاب ان ال البيت

---

(١٣) النمر ، احسان : تاريخ جبل نابلس والبلقاء «جزء» ٢ ص ١٥٩ •

(١٤) الا أن اصحاب الطرق الصوفية خالفوا ذلك ، ولا سيما اصحاب الطريقة الرفاعية لان مؤسس طريقتهم حسيني من الاشراف • وقد تقرر ان المحسوب كالمنسوب وهكذا سادت الفوضى ، فلم يعد يعرف اذا كان لابس العمامة الخضراء شريفا ام صوفيا •



والصحابة الكرام رضي الله عنهم كانوا عماد الجهاد وقواد الجيوش الاسلامية ، واعفاؤهم من الجهاد مخالف للشرع الاسلامي (١٥) ٠

أن الانتساب الى الاصول الشريفة يقتضي حفظ شجرة نسب مصدقة من قائمقام نقيب الاشراف ومن النقيب بالذات ومن العلماء والعارفين بالانساب ، وكلما نشأ جيل وجب اضافة اسمائهم للشجرة بشهود من ذوي المكانة لا سيما من العلماء وذوي الانساب بحفل عام يولمون للاشهاد (١٦) ٠

ومن تقاليد الشرف المرعية عدم تزويج الشريفة الى غير الاشراف ويستثنى من هذه القاعدة العلماء على أن ابن الشريفة يلحق بها في النسب هو فقط دون ذريته ٠

وفي الخطاب والكتاب يقدم اسمهم بفخر الاشراف وفخر السادات والاول لمن جمعوا الى الشرف السيف والقوة٠ ومن تقاليدهم وضع العمامة الخضراء الا انهم اصطلحوا على وضعها لاكبر الاسرة سنا يتناقلونها بعد وفاته الاكبر سنا الى من يليه في السن ٠

وكذلك هم يتقدمون غيرهم في الدخول والخروج الى ومن المجالس ٠(١٧) وانقل هنا عن احسان النمر - تاريخ جبل نابلس والبلقاء خلاصة ترجمة فرمان بتعيين قائمقام نقيب الاشراف لمركز نقابة نابلس من سيادة نقيب الاشراف العام في استانبول (١٨) ٠

« مفخر السادات عمدة اصحاب السعادات السيد عمر الاخرمي دام شريف سيادته غب التحية البهية

---

(١٦) النمر ، احسان : تاريخ جبل نابلس والبلقاء الجزء الثاني ص ١٦٣ ٠

(١٧) النمر ، احسان : تاريخ جبل نابلس والبلقاء ٠ الجزء الثاني ص ١٦٢ ٠

(١٨) النمر ، احسان : تاريخ جبل نابلس والبلقاء ٠ ج ٢ ص ١٦٠ ٠

ننهي اليكم تعيينكم من طرفنا قائمقاما على السادات الكرام المحترمـــين في صيدا وبيروت وبعلبـــك فواجبكم اعزاز واحترام من ينتمون الى السلالة النبوية الطاهرة وبيدهم انســـاب ظاهرة وزجر ومنع من يضعون العمائم الخضراء بلا نسب ظاهر وكل مـــن يدعي النسب يجب عليكم احالتـــه لطرفنا وتأديبه . مع حماية الاشراف من اي مداخلة او تعدي وتعجيز من الحكام وان لا يكلفو بدفع قرش واحد وعليكم بصيانة اعراضهم وحقوقهم واموالهم وحمايتهم من كل أذى بكل الوسائل اكراما لخاطر سيد الانام عليه السلام حرر في اليوم الثـــاني والعشرين من جمادي الآخرة لسنة احدى واربعين وماية وألف » .

نقيب الاشراف

زين العابدين

وقد أثبت احسان النمر صورة مرسوم من الوالي للتوصـــية على اشراف قرية بيتـــا بقضاء نابلس يحض شيخ مشايخ المشاريق الساكن في قرية بيتا والفلاحين على وجـــه العموم الذي نعرفكم به ، على احترام امتيازات الاشراف . وينذرهـم اذا « يظهر منكم شيىء مخالف القانون والمعتاد على طايفة الاشراف المذكورة مالكم رد الجواب وتنالوا منا اشد اللوم والعقاب »(١٩) .

أن فكرة فتح النسب بعد وفاة عدد من رجال الاسرة لكي يســجل نسلهم اوحت بالتشـــاؤم من فتح الانساب فقضت باهمالها اجـــيالا فيقضي ذلك اثبات الاتصال ضمـــن قضية ترفع عند القاضي ويشهد عليها شهود بالسماع وهو جائز شـــرعا ويبني الادعاء على هبة شيء للذريـــة فتقام البينة ليصح توزيع الهبة او استعمالها وبعد البينة يحكم القاضي وعلى هذا يمكن الاتصال بأي نسب . وعلى حسابه وطريقته اثبتت أنساب لا يعلم بصحتها الا الله(٢٠) .

ان وضع ارباب الطرق لا سيما خلفاء الطريقتين الرفاعية والقادريـة العمامة الخضـــراء ســـبب فوضى بالنسبة للانساب الشريفة لا سيمـا بعد الغاء نقابة الاشراف (٢١) .

أشراف السيف :

وهم الامراء والشيوخ ، ويتميزون عن الشعب بلبس الجديـــد ووجود

(١٩) النمر ، احسان : تاريخ جبل نابلس والبلقاء ص ١٦١ الجزء الثاني .

(٢٠) النمر ، احسان : تاريخ جبل نابلس والبلقاء الجزء الثاني ، ص ١٦٣ .

(٢١) النمر ، احسان : تاريخ جبل نابلس والبلقاء . الجزء الثاني ، ص ١٦٢ .

الخدم والاتباع ، وما يميز المسلح عن الاعزل من السلاح والعتاد والخيل والسواس ويترفع هؤلاء عن تعاطي المهن والحرف• ولا شك أن هذه هي نزعة بدوية بدأت منذ أن اجتاح الفاتحون العرب المسلمون هذه البلاد • ويدفن بعض هؤلاء في الزوايا والبيوت خشية الانتقام • وخاصة اولئك الذين قامت ضدهم ثورات محلية مثل صالح باشا طوقان والشيخ سليمان عبد الهادي • وأما غيرهم من ال طوقان وعبد الهادي فكانوا يدفنون في المقابر العامة وقد يطلق عليهم بعض الفلاحين اسم • « البيت الرفيع » ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر : ال ماضي شيوخ قضاء حيفا ومركزهم اجزم ، ال شبلي شيوخ قضاء عكا ومركزهم شفا عمرو ، التميميون في نابلس والخليل ، البراغثة وال الريماوي في قضاء رام الله • ويمكن تتبع نُبت العائلات في قرى ومدن فلسطين في سلسلة كتب « بلادنا فلسطين » للاستاذ مصطفى مراد الدباغ •

عصبية القيس واليمن

تعود بعض قبائل وفلاحي وسكان فلسطين في اصولها الى القبائل القحطانية اي اليمن او الى العدنانية أي القيسية • وكانت تقوم بين القيسيين واليمنيين حروب وثارات لاسباب تافهة ليس اقلها مجرد رفع الشعار ، فاذا مرت فاردة العروس القيسية بالقرب من قرى اليمنية وهي ترفع الراية الحمراء قاتل اهل القرى اليمنية الرجال المواكبين للعروس القيسية حتى يضطروهم الى وضع الشعار الابيض اي الراية البيضاء شعار اليمنيين •

ويروي محمود مصلح (٢٢) ما حدث عام ١٩٧٤ في قرية بير زيت بقضاء رام الله ويقول ان شابا من قرية كفر عانا من قرى قضاء الرملة والمقيم في بير زيت تزوج فتاة من قريته ، والشاب يمني والفتاة قيسية •

وقد اختلف اهلهما حين خروج العروس من بيت ابيها وتشاجروا فيما بينهم ، هذا يطالب أن تتنقب بالاحمر وذاك بالابيض •

ويحدثنا مصطفى مراد الدباغ عن اخر صفحة من صفحات هذه العصبية(٢٣) • ويتناول الحروب

---

(٢٢) مجلة التراث والمجتمع ، العدد الثالث ، ص ١٠٣ •

(٢٣) بلادنا فلسطين ، ج ٢ قسم ٢ ، الديار النابلسية ص ٦٢ •

(٢٤) آخر •

التي قامت بين ال طوقان وال عبد الهادي في منتصف القرن الماضي فكان الاولون يمثلون اليمنيين والاخرون يمثلون القيسيين • وقد فاز القيسيون (ال عبد الهادي) وحلفاؤهم على اليمانيين عند خرُوبة بالقرب من جنين • ولكن الحكومة العثمانية رأت أن تضع حدا لهذه العصبيات لتثبت وجودها وحكمها ، فأرسلت جندها الى جبل نابلس وهاجمت عرابة معقل اسرة عبد الهادي ودمرتها والحقت بهم خسائر عظيمة ، وهكذا كانت معركة خرُوبة وخراب عرابة في سنة ١٨٥٩ كانت نهاية صراعات القيس واليمن •

وهذا مقطع من الشعر الشعبي المسمى بالشوباش الذي يحمل اصداء تلك الخلافات الدموية حول الصراعات المتصلة بالاصل •

يا يمن لا تحاربوا قيس يا واو
ولنا عليكو فلاحه
وشيخكو يشبه التيس
وانتو غنم للذباحة

وقد جرت انتماءات الناس الى اصول قيسية واخرى يمنية الى معارك محلية بين الفئات التي تنتمي الى قيس والاخرى التي تنتمي الى يمن •وكان لكل جماعة من الجماعتين لون مميز ، فلون اليمنيين هو الابيض في حين أن لون القيسيين هو الاحمر • ولم يكن افراد الجماعة الواحدة ليتصاهروا مع الجماعة الاخرى ، هذا على الرغم من انهم في بعض الحالات كانوا يتبادلون مظاهر المجاملة • وعلى سبيل المثال نذكر أن اهل



أرطاس القيسيين كانوا ينزلــون ضيوفا عند اهل بيــت لحم عندما كانوا يمرون في « فاردة»(٢٥) وعكس ذلك كان يحصل ايضا ٠

وقد حصلت معظم الصراعات بين القيسيين واليمنيين في القرن التاسع عشر ، وخفت حدتها ابتداء من عهد الانتداب البريطاني ٠

وجرت العادة أن تتزيى العروس بزي يحمل اللون القبلي لأهلهــا ، فالعروس التي تنتمي الى أرطاس او بيت جالا على سبيل المثال كانــت ترتدي الاحمر ، وأما عروس بيـت لحم او الخضر او التعامرة فكانــت ترتدي الابيض ٠ واذا ما كانــت العروس ستتزوج في بلد غريب فانها تضطر لتغيير اللون الذي تتزيى بـه عند منتصف الطريق اذا كانــت ستنتقل الى بلد تنتمي الى الجماعة الاخرى والتي لا ينتمي اهلها اليها ٠

وفي الماضي كانــت العروس ــ في مثل هذه الحالة ــ ترتدي عبــاءة حمراء بخطوط بيضاء ٠ وترتــدي العروس العباءة مظهرة اللون الاحمر اذا كانت قيسية ، او تظهر الابيض اذا كانت يمنية ٠ وعند منتصــف الطريق يقف جمل العروس ويبرك ثم تقلب العروس العبــاءة مظهرة لون الجماعة التي ينتمي زوجها اليها ٠

لكن حالات اخرى أثبتــت ان العروس كانت تظــل ترتدي لون القرية التي جاءت منها حتى تدخـل القرية التي ستتزوج فيــها والتي تتبع الحزب المخالف ٠ وتذكر دكتور جرانكفيست(٢٦) أن تمام جادالله نقلت كعروس من ارطاس الى قرية الخضر ، وظلت ترتدي اللون الاحمر وهو لون قيسيي ارطاس حتى دخلت الخضر والتي يرفــع اهلها اللون الابيض شعار اليمنيين ٠

وروت عليـا تفاصيل مـا حدث لدكتور جرانكفيست فقالت : «حملت تمام جاد الله سيفا وهي تركب جمل العروس من ارطاس الى الخضــر ٠ وكانت تمام ترتدي زي قيس باللون الاحمر ٠ وعند بــرك سليمان في منتصف الطريق بين البلدين حاول الرجال ان يقلبـوا نقـاب العروس ليظهر اللــون الابيض وهو شعار يمني الخضر ٠ وهنا نبهها أهلهــا

---

(٢٥) المجموعة التي تصطحب العروس القادمة من بلد غريب انظر (ز ــ زواج) ٠

(٢٦) Granqvist, Marriage, II P. 87.

بصوت عال ، فضربت تمام يد الرجل بالسيف فجرحته · وصاح المجروح :

ـ يلعن أهلك ·· جرحتنا ·

واثنى الجميع على جرأتها(٢٧) ·

وروت معلمة تلحمية لـــدكتور جرانكفيست(٢٨) أن عروسا احضرت من بيت لحم الى بيت جالا وكانـــت تلوح بسيفها ، وقد شقت طريقها الى البلد وهي ترتدي اللـــون الابيض اليمني ، في حين كان شعار اهل بيت جالا هو اللون الاحمر القيســـي · وقد ابتهـج التلاحمـــة بالعروس الشجاعة ، لان المفهوم الشعبي للامر يجعل العروس مشدودة لاهلهـــا لا لاهـــل زوجهـــا · وهنا نلاحـظ أن العصبية القبلية تأخذ الاولوية عـــلى عصبية الدين ، فكلا سكان بيت جالا وبيت لحم مسيحيون ·

وهناك مثال اخر على ذلك ، فقد كان اهل ارطاس يدعـــون الناس المشتركين في موكب عروس قادمة من بيت جالا للطعام ، ويحصل العكس لان كـــلا البلدين تنتمي الى قيس وذلـــك على الرغـــم من اختلاف الدين(٢٩) ·

ويقول ماكالستر أن حربا تحصل عندما يلتقي موكبا عروسين تزوجتا بالتبادل وفي منتصف الطـــريق · وسبب الحرب هي الرغبة في تغيير الالوان القيسية واليمنية · ويقتل قوم ويسجن اخرون لذلك السبب · وقد شهد ماكلستر حادثة احضـــار عروس من بيت نتيف قتل فيها رجل من «زكريا» (٣٠) ·

ويحصل الشجار عندما يكـــون هناك زواج بدل ، ويصل موكبـــا العروسين الى منتصف الطريق بـــين القريتين ، ويركع جمـــل العروس ويحين موعد تغيير الالوان القيسيـــة واليمنية ·

ويكره الناس مسألة تغيير الالوان هذه لسببين :

الاول : تعصبهم الحزبي لقيس

---

(٢٧) Granqvist, Marriage, II. P. 87.

(٢٨) التي اقامت في فلسطين لفترات بين ١٩٢٥ ـ ١٩٣١ ، ثم عادت الى هناك بعد نكبة ١٩٤٨ · انظـــر : Granqvist, Marriage, II. P. 88.

(٢٩) Granqvist, Marriage, II. P. 89.

(٣٠) Macalister, A day in a Fellah Village (Zakariya), PEQ, xlvii, London, 1915. P. 30.

ويمن ، والثاني : خشيتهم من ان يرى الرجال وجه العروس عند التغيير ٠

ويحدثنا جودريخ فرير (٣١) عن طوشة حصلت بسبب النزاع القيسي اليمني عند مدخل الكنيسة في «قرية رام الله » فقد كان اهل العروس قيسيين في حين أن اهـل رام الله يمنيون ٠ وقد استدعي شيوخ « قرية البيرة » المسلمون لاصلاح ذات البين ٠

ومع نهاية عهد الاحتلال التركي لفلسطين وبداية الانتداب البريطاني خفت حدة العصبية القيسية واليمنية، لكن ذكرياتها ظلت ماثلة في الاذهان ٠ وتقول د٠ جرانكفيست انه حتى الان (الثلاثينات من هذا القرن عندما كانت الباحثة الفنلندية في ارطاس) ما زال اهل ارطاس يعتقدون انه من غير المناسب أن تدخل بلدهم عروس وهي ترتدي الشعار اليمني الابيض ٠ وتروي لنا جرانكفيست الاحداث الثلاثة التالية عما شاهدته وسمعت به ٠

١ ـ دخلت فاطمة شختور عروس عيسى خليل الارطاسي الى بلد عريسها وهي ترتدي الشعار اليمني الابيض وتحجب وجهها بنقاب احمر ٠ وتذمر الكثيرون من ذلك واخذوا يقولون ان هذا لو حصل في الماضي لقامت مذبحة « لكن كل شيء تغير ٠٠ والدنيا تسير الى الاسوأ » ٠

٢ ـ في خريف عام ١٩٢٦ احضر محمد يوسف عروسه سعدي درويش من الخضر ٠ وسبق حضور موكب العروس اشاعات بان اضطرابات ستحصل بسبب الشعار الحزبي ٠ ولم يحصل شيء من ذلك لان شرطيا حضر ، وكان حضوره يتم لاول مرة في مثل تلك المناسبات ٠

٣ ـ وفي عام ١٩٢٦ ايضا تم زواج بالبدل لعروسين احداهما قيسية من صوريف ، والاخرى يمنية من جبع ٠ وعندما تقابل موكبا العروسين في منتصف الطريق ، رغب الجميع في أن تنقل العروس الصوريفية الى الجمل الجبعي ، وان تنقل العروس الجبعية الى الجمل الصوريفي ٠

وقال اهل جبع : يجب أن لا تركب العروس الصوريفية جملنا وهي ترتدي الشعار اليمني ٠

---

(٣١) Goddrich-Freer, Arabs in Tent and Town, London 1924. P. 130.

(٣٢) Granqvist, Marriage, II. P. 89.



وثار نزاع وشجار ادى لجرح الكثيرين ، وانتهى العراك بان اخذ اهل صوريف كلتا العروسين الى قريتهم وهزم القيسيون ٠ واخيرا سوي الامر بعد أن تبين أن الحق كان في جانب اهل صوريف(٣٢) ٠

الفلاحون :

وهم السواد الاعظم من اهل القرى العربية الفلسطينية وساكني الاحياء الشعبية في المدن ، وما دراستنا العابرة لاشراف النسب والسيف وأسر البيوتات الرفيعة الا لمعرفة هذه الاصول ودراسة نظرة الوسط الشعبي لهم ٠ وينظر الفلاحون لابناء البيوتات الرفيعة نظرة احترام مشوبة بالخوف ، وبعكس ذلك تكون نظرتهم للاقليات ٠

وفي داخل فئة الفلاحين نجد تناقضات تستمد وجودها من فكرة الاصل ، فهناك تناقض بين ابناء قرية وابناء قرية اخرى مجاورة فكثيرا ما ينشب الشجار بين اهالي دير طريف وبيت نبالا من قرى الرملة لاتفه الاسباب (٣٥) ٠ وهاجم اهالي ابريكه جيرانهم من اهل السنديانة مرات ومرات ٠ وعندما كان يحصل اعتداء على ارض ، عرض ، راع ، غنم او سوى ذلك تابعة لقرية من جانب شخص او اكثر من قرية مجاورة فان النزاع يتطور ليصبح بين اهالي هذه القرية وجارتها ٠ ويتعصب كل فرد لاهل قريته ٠

وأنا افسر ذلك بالافتراض بان مساكن القرية الواحدة تطورت عن خيام القبيلة المتجاورة(٣٦) ٠ وهكذا انتقلت عصبية القبيلة في الوجدان الشعبي الى عصبية القرية ٠

---

(٣٥) محمود مصلح ، العصبية في المجتمع الفلسطيني ٠ مجلة التراث والمجتمع العدد الثالث ، تشرين الاول ١٩٧٤ ٠

(٣٦) انظر مقال : البيت الشعبي الفلسطيني ٠ ص ٩٩ من الفنون الشعبية العدد الثالث تموز ١٩٧٤ ٠

ومن نفس هذا المنطلق نجد التناقض داخل فئة الفلاحين في تعصب افراد الحمولة الواحدة ضد افراد الحمولة الاخرى حتى عندما تكون الحمولتان مقيمتين في نفس القرية . وفي العرف الشعبي : « أنا واخوي على ابن عمي ، وانا وابن عمي على الغريب » . وتحصل الطوشات بين حمولة واخرى لمجرد اي حادث عرضي بين فردين من الحمولتين .. وعندما يحتدم الصراع بين حمولتين في البلد يمكن أن يجر الحمائل الأخرى للنزاع ،ومن المحتمل أن يقول زعيم حمولة ثالثة يتصف بالحكمة :

ـ « فخار يكسر بعظه » .

والمعنى : لنتركهم يحطمون بعضهم البعض . وفي ذلك نصر ضمني للحمولة الثالثة عندما تجد هذه الحمولة الحمولتين المنافستين اضعف بفعل الطوشة .

ويترتب على الانتساب للحمولة الالتزام برغباتها ، ومن يلتزم برغبات وأوامر الحمولة يسمى ابن اصل ، ومن لا يلتزم يقع تحت طائلة العقوبة التي تفرضها حمولته . ومن تلك الالتزامات انه يتوجب على المرء أن يشاور الحمولة عند تزويج ابنته او رغبته في بيع بيته او ارضه ، فأبناء العمومة اولى في الحالتين . وقال ابو ابراهيم الولجي انه علم ذات يوم ان رجالا من قرية مجاورة لبلدهم الولجة جاؤوا يخطبون فتاة من بنات حمولته ، وعندما ذهب ابو ابراهيم ليطلع على الامر وجد أن الامر بلغ مرحلة التنفيذ وان سرادقا قد أقيم ، واخذت النسوة تعد طعام الصفاح » اي الطعام الذي يعد يوم الخطبة . وهنا ثار ابو ابراهيم ورفع تقصيرة حادة في وجه الغرباء وقلب القدور واطفأ النار . وهكذا فشلت الخطبة بحق اولوية ابن العم .

ويتوجب على ابناء الحمولة أن يساعدوا اي فرد من افراد الحمولة في الحالات التالية :

١ ـ الطوشة العمومية . واذا نشبت الطوشة توجب على كل فرد في الحمولة ان يهب لنجدة جماعته ، وكذلك اذا كانت هناك حركة لمواجهة الغزو او اية مجموعة تتحرش باملاك او اعراض الحمولة . ويقال في مثل هذه المناسبات :

صبيان هزوا القنا فوق المجاريح
عيب عللي ترك ربعه مطاريح

صبيان طل من الشرق صايح
صبيان يا اهل المروة بوشكم
رايح (٣٧)

وعلى ابناء الحمولة أن يثأروا لقتيلهم وتلك مسؤولية جماعية :

لا تذلوا يا حمولة
علقو للخيل شعير
واقتلوا قتال فلان
لنه ع السما يطير (٣٨)

٢ ـ في البناء ، ويقال في مثل هذه الحالة :

عيب على اللي دشر، ابن عمه يا واو
ما بين دارين واقع يا واو
يا بيظ لا ترغبنش ياواو
يا حاملات البراقع يا واو

٣ ـ المشاركة في الفرح الشعبي (العرس) ، ويقال في مثل هذه المناسبة :

يا احباب يومن سمعنا فرحكم جينا
من خوف هرج العتب والدرب ترمينا

فالفرد من الحمولة الذي يتأخر عن حضور حفلات العرس الشعبي عند ابناء حمولته يعاتب على تأخره • ولذلك يتوجب عليه المشاركة في كل المناسبات الاجتماعية الاخرى مثل الولادة ، الوفاة •• الخ

وعلى ابن الحمولة الذي يوصف بأنه (ابن اصل) ان يتغاضى عن هفوة ابن عمه • ويقال في ذلك :

« أن تفيت فوق بيجي على وجهك وان تفيت تحت بيجي في حرجك »
والمعنى انك اذا حاربت ابن عمك فانما تحارب نفسك •

والدليل على تعصبنا المستمر للقرية او الحمولة هو اننا نكتب اسماءنا منتهية باسم الحمولة ، ونعطي ذلك اهمية كبيرة عندما نغادر قريتنا الى قرية اخرى او الى المهجر • ولنأخذ على ذلك مثالا •

السيد عبد الكريم يحمل اسمه المجرد في اسرته ، ويحمل اسم عبد الكريم الموسى داخل نطاق الحمولة • ويحمل اسم عبد الكريم موسى علقم داخل القرية (وعلقم اسم الفخذ) • وعندما سافر عبد الكريم الى البرازيل طبع اسمه على الاوراق : عبد الكريم تميمي •وهنا احس الرجل بعاطفة قوية تشده الى اصل العشيرة التي تفخر بنسبها الى « تميم الداري » •

وهناك مثال اخر على التعصب للاصل القروي ، فالرجل من سفارين بقضاء طولكرم يحمل اسمه واسم ابيه واسم حمولته في قريته • وعندما يذهب الى طولكرم عاصمة

(٣٧ ، ٣٨) محمود مصلح : العصبية في المجتمع الفلسطيني •

القضاء يحمل اسم السفاريني تعصبا لقريته واهلها · والمرحوم عبد الرزاق البرغوثي كان يحمل اسم « العبد يوسف » على نطاق قريته ، وعندما وجد نفسه في رام الله وفي ادارة التربية والتعليم حمل اسم العشيرة ابرازا لاصله · ومثل ذلك يقال عن عمر الصالح في قريته وعمر الصالح البرغوثي في رام الله ·

ولا يعني التعصب للحمولة حبها فحسب بل الغض من طرف الحمائل الاخرى ، فهؤلاء ابناء المحاميد من عشائر ام الفحم يتحرشون بابناء المحاجنة ويقولون :

محاجنة يا صرار الروحة
والشيخ اعمى والبنت مفضوحة
محاجنة يا طحين السكر
والشيخ اعمى والبنت تتحسر
محاجنة ما ارداكم
شرارة تطير لحاكم
يعد منكم بيت خيركم
ويرمل صباياكم (٣٩)

وهناك تناقض اخر طائفي ، والدين يعطي معاني خاصة للاصل بحيث لا يستطيع الفلاحون الزواج من الطائفة الدينية الاخرى ، حتى أن ابناء الطائفة الدينية الواحدة يكرهون الزواج من فتاة من طائفة اخرى · ويقول أهل الساحل من طائفة اللاتين : « اللي بوخذ رومية (نسبة الى الروم الارثوذكس) ما بنام نوم هنية » ·

ونحس بمظاهر التعصب للطائفة في تقسيم كل من كنيستي القيامة في القدس والمهد في بيت لحم الى اقسام بين الطائفة ، وظهور جمعيات الشبان المسلمين بعد الجمعيات المسيحية للشبان وبناء اهالي العيزرية لمسجد صغير كامل في ليلة واحدة عندما علموا ان الملك حسين ، ملك الاردن ، سمح لطائفة اللاتين ببناء كنيسة في ارضهم اثناء زيارة البابا بولس السادس للاردن عام ١٩٦٥(٤٠) ·

ونجد التناقض والتقسيم العصبي بين الفلاح ابن القرية والفلاح ابن الخربة · ومن الامثلة على ذلك ما يقوله اهل طوباس : « رابا وربرابة والكفير وعقابا وصير وتياسير ما بسوين مد شعير»(٤١) ويقولون «رابا ام القمل بتحابي » · ويقول اهالي هذه الخرب : « عمرك لا تصاحب طوباسي » ·

---

(٣٩) محمود مصلح ، العصبية في المجتمع الفلسطيني ·

(٤٠) محمود مصلح ، العصبية في المجتمع الفلسطيني ، مجلة التراث والمجتمع ، ٣ ، ص ١٠٨ ·

(٤١) المرجع السابق ·

وهناك تناقض بين الفلاح والمدني ، فالمدني يسخر من تخلف الفلاح ويعيب الفلاح على المدني بعده عن القيم الشعبية المتوارثة ومن ذلك البخل .

ويقول المثل الشعبي القروي :

– المدني عشيه ميت ليلة ما بعشيك ليلة واحدة . ويعتقد الفلاح انه اشجع من المدني الذي يخشى السير في البرية ويخاف من الضبع ومن البرية ويخاف من الضبع ومن « طقطق مو » اي البوم .

ولا بد أن نذكر التقسيم العصبي الذي فرضته نكبة عام ١٩٤٨ على اساس لاجيء ووطني (وكلمة وطني هنا بمفهومها الشعبي تعني مواطن) .

واثر الهزيمة المنكرة التي حلت بالوطن صار يضرب المثل « باللاجيء المقطوع كرته » ، فيقال : « وجه فلان مثل وجه اللاجي المقطوع كرته » اي اسود الوجه لانه فقد بيته وارضه اولا ثم بطاقة المؤن التي اصبحت مصدر رزقه الوحيد .

وبعد الهزيمة مباشرة انخفضت مهور الفتيات اللاجئات في مخيم طولكرم الى خمسة وعشرين دينارا في حين كان مهر الفتاة المقيمة ثلاثمائة دينار . وصار من العيب أن يزوج المرء ابنه من فتاة لاجئة لانها «مقطعة موصلة » و « مالهاش اصل » .

وشاعت أغاني «علا» في سنوات ما بعد النكبة وفيها :

والله لابيع اللاجي
بفتة خبزة وقماجة

ومثل ذلك :

شفت اللاجي بقاع البير
يذهق مثل الحمير
هاتو السكة وهاتوا النير
تا نحرث على اللاجي
شفت اللاجي بقاع البيت
ازلق من عينه ما ريت
باع الحطة والجاكيت
واشترى بحقه ملوخيه

ووصل تقدير اصل اللاجيء الى الحضيض عندما سمع احد افراد جماعة من النور ، يقيم في ارض النبي صالح ، يقول لزوجته :

بأكون لاجي اذا ما طلقتك

ثم رأينا كيف تذاوبت كل تلك التناقضات بعد الاحتلال الاسرائيلي لكل الارض الفلسطينية وبعد حرب ١٩٦٧ ، وكيف أن العصبيات المحلية قد تراجعت لتظهر محلها وحدة وطنية متماسكة في وجه الاحتلال كان ابرز مظاهرها تلك الانتفاضة العارمة التي شملت كل مكان في الارض المحتلة اثناء مناقشة الامم المتحدة للقضية الفلسطينية . في اواخر عام ١٩٧٤ .

ونجد العصبية حتى بين اطفال الفلاحين ، فأولاد الحارة الواحدة

يتعصبون لحارتهم ويخوضون « طوشات » مستمرة ضد ابناء الحارات الاخرى · وقد يمنع الاطفال في الحارة الاطفال الغرباء من مجرد المرور بحارتهم ·

وهناك تعصب الحضر ضد البدو وازدراؤهم لهم ، ولا شك أن تلك العصبية مردها الى تلك الهجمات المريعة التي كان البدو يشنونها على قرى الفلاحين ينهبون ويسلبون ويقتلون ويحصلون الخاوة ·

ويحلو للبدوي أن يترك مواشيه ترعى في حقول الفلاحين مما يتسبب في اتلاف الشجر والزرع فتثور النزاعات · وينشب القتال · وفي عام ١٩٤٧ دارت معركة بين اهل صفا بقضاء رام الله وجماعة من بدو التعامرة استمرت من الصباح وحتى المساء ، ولم تنته الا بتدخل قوات الانتداب البريطاني(٤٢) ·

ويقول المثل الشعبي القروي :

«فش أثقل من دم البدوي» ، وايضا :

ـ لا تدل البدوي على باب دارك ·

فالبدوي يكثر من التردد على بيت الفلاح بهدف تذوق طعامه الشهي ، ولا يتوقف عن زياراته الا بعد « فضيحة كبيرة » كما تقول الحكاية :

« واحد غزاوي فتح له دكانة في عربان السبع(٤٣) ·عادة اهله في غزة بيظلو يودوا له هدية · بده يوكلها ما بشوف الا شريكه مقنبز(٤٤) على الاكل · يوم من الايام ودو اله (٤٥) وقيتين كنافة · الغزاوي صار يقول وين بدي أوكل هالكنافة بمطرح ما يشوفني البدوي · وين· وين (٤٦) · راح طلع من العرب(٤٧) كلها · واجا(٤٨) في استكان(٤٩) · وبده اساع(٥٠) يوكل الكنافة · ما شاف الا البدوي قدامه(٥١) وبقول :

السلام عليكم

ـ وعليكم السلام

ـ ويش هاظ(٥٢)

ـ هاظ هاظ ··

ـ شو هاظ

ـ هاظ نعلة تينك(٥٣)

---

(٤٢) محمود المصلح ، العصبية في المجتمع الفلسطيني ·

(٤٣) عند عرب السبع ، بدو بئر السبع ·

(٤٤) مقرفص ·

(٤٥) ارسلوا له ·

(٤٦) أين ·

(٤٧) مضارب البدو ·

(٤٨) نزل ·

(٤٩) خندق ·

(٥٠) كان على وشك ان ياكل ·

(٥١) أمامه ·

(٥٢) هذا ·

(٥٣) شتيمة ·



قال البدوي : بدنا نذوق هذه نعلة تينك • ذاق شافها زاكية والعرب بتحب الحلو • قال البدوي •• والله نعلة تينك زاكية •• قاله الغزاوي معك حق •• عاد هو بده ينفلق(٥٤) •

قال البدوي لشريكه : نعلة تينك هذه بتنباع ؟

ـ آ ••• بتنباع (٥٥) •

ـ وين

ـ في غزة •• روح ع السوق اسال •

يوم راح البدوي يسأل •• هذا التاجر •• هذاك عن « نعلة تينك •• اللي يسأله يناولـه الهواة (٥٦) ذبحوه من القتل • ظل تامنـه(٥٧) واحد فهم عليه وقاله هذه اكنافة • تقول الغزاوي زهق من البدوي (٥٨) ترك الشركة وراح ع غزة ••

صار البدوي كل اكم يـوم يجـي يزوره • زهقه عيشته • قال بـدي اقلفعه • راح يوم اجا البدوي يزور الغزاوي • راح الغزاوي جاب (٥٩) له وقيتين كنافة وغرقهن خروع • اكل البدوي • بعد اشوي راحوا ع الجامع يصلوا •• دارت الشربة (٦٠) في البدوي ما قدرش يثبت حاله ظيع في اواعيه وع حصر الجامع • خزي وراح • غاب سنتين • قال البدوي يمكن نسيوا الحكاية • رجع ع رفيقه الغزاوي • من ساعت ما شافـه الغزاوي وهو قاعد في دكانته • قال لواحد •• بس يصلنا البدوي بتقول لي بدي ديمايه لابني بسألك قديش عمره • بتقول لي سنة ما ظيـع البدوي بالجامع •

سمع البدوي الحكي •• وقـال هالبلد عمري مـا باجيهـا (٦١) واستراحوا منه •

ويزدري اهالي قرية ما اهالـي قرية اخرى ، لعلة معينة توارثتـها الاجيال ، واصبحت هـذه العـلة موضوع سخرية شعبية دائمة •

وفي حين يتعصب الفرد لقريتـه فانه يعيب على سكان القرية الاخـرى اتصافهم بصفة غير مرغوبة • ويكمن

---

(٥٤) ينفجر من الغضب •

(٥٥) هل تباع ؟

(٥٦) يضربـه •

(٥٧) حتى انـه •

(٥٨)مـل •

(٥٩) احضر لـه •

(٦٠) المسـهل •

(٦١) أجي اليها •

وراء تلك السخرية والعصبية معتقد شعبي مؤداه أن سبب غباء اهل قرية ما على سبيل المثال هو شربهم من نبع ماء يتسبب في وجود تلك العلة . وقد يكون السبب اكلهم لنبتة معينة، او لان هواء تلك القرية له اثار معينة .

أن اهل الجنوب يزدرون سكان الساحل الاوسط ويسمونهم فتوح . ويفخر الجنوبيون بكرمهم ووفائهم ونجدتهم ويجردون الفتوح من ذلك ، ويشهد بهذا البيت الشعبي المتوارث في أغاني السامر والذي يقول :

يا ناس رجل الفتوحي ع الرفق ما ارداه مرته تبيع اللبن وهو ناطور مقثاة .

فالفتوحي كما يقول البيت لا يهتم لمسالة احترام قوانين الصحبة ، ويسمح لزوجته بممارسة بيع المنتجات خارج البلد . بينما يظل هو مستلقيا على (جنبه) يمارس مهنة حراسة مزارع البطيخ . والجنوبيون في الحقيقة يردون المسألة الى اصلهم الاطيب من اصل « الفتوح » والتي اعتقد انها تعني السكان من بقايا الفاتحين ، وبالتالي السكان الفاقدين للقيم الشعبية العربية الاصيلة .

ومن هذا المنطلق يقال عن اهل عجور ، انهم يغضبون عندما يردد أمامهم شخص ما هذه المقاطع :

تين اكراوي

شالق نيعه

عسل منقع

يحرق تينه

أي أن العجوري ياكل حبة التين المتفتحة ويصفها بأنها تفتح فمها الذي يقطر عسلا ، وهو يفعل ذلك ليوفر الحبات الطازجة ويرسلها للسوق للبيع .

ويقول اهل الساحل : « أن حبلت حمارتك من اهل الجبل طرحها » . والمعنى لا تصاهر اهل الجبل ولا تسمح لحيواناتك بان تتلقح من حيوانات اهل الجبل . ويمكننا تفسير ذلك بالثارات التي كانت قائمة بين رجال الجبال الاشداء وسكان الساحل الذين عانوا الكثير من غارات سكان الجبل .

ويروى أن شخصا من أهل الولجة ذهب للبستان فالقى بالمنجل على الشجرة ، وهكذا سقط المنجل عليه فجرحه ، وما كان منه الا أن اختفى بين الصخور خشية ثورة المنجل وهيجانه ،وعندما جاءته زوجته بعد فترة ما وجدته مختبئا فسألته عن سبب اختبائه ، وهنا قال :

ــ المنجلة سعرانة(٦٢) .. اسكتي يا مرة .

ويتعصب اهل ابو ديس لقريتهم، ويصفون مواطنيهم بالكرم اذ يقدمون الهيطلية وفوقها السمن . ويقولون :

---

(٦٢) مسعورة وهائجة .

ثلاث قرى ما بهن هبة الريح
سلوان والطور والعيزرية
وان طالك الظيم ميل ع ابو ديس
تلقى السمن فوق الهيطلية

وفي حين تصف المأثورات الشعبية التي يرويها الديسة (اهل ابو ديس) بأنهم كرماء ، فان مأثورات اخرى مصدرها قرية اخرى تقول ان الديسة تصرفوا بطريقة مثيرة للضحك ازاء بومة اعتادت ان تقف في قريتهم وتنعق • وصادف أن مات عدد من الاشخاص ، فاعتبروا الوفاة ناتجة عن نعيق البومة • وهكذا تجمعوا وامسكوا بالبومة • وهنا اخذوا يتشاورون حول افضل طريقة لاعدام البومة •

واخيرا استقر رايهم على ان يلقوا بها من اعلى قمة الجبل لتموت • وفعلوا ذلك ، وفوجئوا بان البومة لم تمت بل طارت هاربة •

وهنا قال احدهم مواسيا رفاقه :

ـ بكفيها خوفتها (اي يكفيها ما اصابها من الرعب) •

ويتهم اهل اللد بأنهم رغبوا ذات يوم في نقل مئذنة جامع الرملة الى بلدهم ، فربطوه بالحبال المنسوجة من الصوف التي سرعان ما تمددت ، وهنا اصابهم الحماس ظنا منهم انهم تمكنوا من زحزحة المئذنة من مكانها ، واخذوا يقولون لبعضهم البعض :

ـ شد •• شد •• قربت الرملة ع اللد •

وروي أن اهل السوافير حرثوا الارض « ع البساس » اي بربط المحراث وراء القطط •

ويقال ان اهل عكا ينتهرون الحمار قائلين •

ـ حا خيا حا ••

ويتهم اهل غزة بانهم زرعوا الكشك (اللبن المجفف) لتنبت الارض عين جرادة (بهار) ،اذ المعروف أن الكشك يحوي عين الجرادة •

ويذكر عن اهل القدس البخل ، اذ عندما يأتيهم ضيف قروي يقولون له :

« اهلا وسهلا ايمت جيت(٦٣)
وايمت مروح (٦٤) تتغدى عنا (٦٥)
والا في المطعم احسن •
واتنام (٦٦) هان والا في الاوتيل
اريح (٦٧) •

ويتندر اخرون على اهل غزة بسبب غرامهم الشديد بالفلفل ويقولون ، « علم الغزازوة يتألف من قطعة قماش عليها صورة قرن فلفل»

الأقليات :

من الناس الذين ينتمون لاصول تعود لجماعات قادمة من خارج البلد : «المصاروة» لقد جاء هؤلاء الى فلسطين بحثا عن العمل • ويبدو أنهم جاؤوا وهم في غاية الفقر ولذلك فان نظرة

---

(٦٣) متى جئت •
(٦٤) متى تعود •
(٦٥) عندنا •
(٦٦) تنام •
(٦٧) اكثر راحة •

الوسط الشعبي لهم تعتبرهم دون الفلاحين في السلم الاجتماعي · ويروى أن فلاحا اصطدم في حوار غاضب مع مصري فقال له :

– أنت مصري سيس (٦٨) ؟

وما كان من المصري الا أن أخرج كيس نقوده وعرضه أمام الفلاح ، وكان الكيس ممتلئا بالقطع الذهبية ، وقال :

– أصلي في هالكيس ·

ان هناك صلة بين الاصل وبين الواقع الاقتصادي للناس ، فأولئك الذين عرفوا باشراف النسب حصلوا من خلال نظرية الاصل على امتيازات اقتصادية واجتماعية مر ذكرها · أما أولئك الذين عرفوا باشراف السيف أو أبناء البيوتات الرفيعة فقد فرضوا سيطرتهم ونفوذهم على مواطنيهم من خلال القدرة والسيطرة وقربوا اليهم الاتباع ، وجعلوا الدولة العثمانية تعترف بنفوذهم وشياختهم



وناوؤوا الاشياخ الاخرين · وهكذا فان سيادة فكرة الاشياخ والمتنفذين وخضوع الدولة العثمانية لكل زعيم يثبت أنه ذو نفوذ محلي هي التي ولدت الفكرة الشعبية حول الاصل ، وخلقت عقدة الفقراء تجاه هؤلاء الذين يدعون الحسب والنسب وباسمه حازوا أحسن الاراضي وأفضل الوظائف ونسبة كبيرة من الضرائب التي التزموا بجمعها للدولة العثمانية · وقد جر « أولاد الاصل » غيرهم من الفقراء وصغار الفلاحين ليخلقوا منهم أتباعا يشغلونهم في الدعاية لنسبهم وكرمهم وأمجادهم وكذلك في معاركهم ونزالهم ضد اقرانهم من ابناء البيوتات الرفيعة · وهكذا ظهرت ظاهرة « الفساد » في القرى · « والفساد » اصطلاح شعبي لتجزئة السكان الى أحزاب وجماعات يلتف كل حزب وجماعة منها حول زعيم من « أولاد الاصل » · ولم تكن هناك أية أيدولوجية تعتمد عليها هذه الاحزاب بل يشدها فقط شخص الزعيم · وكثيرا ما كان أولئك الزعماء يرتكبون الجرائم بحق أقرانهم باستعمالهم أدوات تنفيذ من أنصارهم من الفلاحين ·

وهناك مصطلحات خاصة ترادف مصطلح ابن الاصل ومنها ·

– ابن عيلة :

ابن عائلة ذات أصل طيب ·

– ابن حمولة :

---

(٦٨) لا شيء ·

والحمولة اما من «حميلة السيف» أو من الحمل حيث أن أفراد الحمولة ملزمون بحمل أثقال بعضهم البعض(٦٩) ويسمى غير بني الحمايل بالخطف المشلخ أي الخشبة التي تشبه حرف Y (الواي) بالانجليزية التي تشد بها الحبال والتي تكون مكسورة ٠ وتفوح رائحة الازدراء للناس العاديين من خلال هذا الوصف ٠

ويقال في المثل الشعبي تالي الحمايل وتالي الغنم ما بيها خير(٧٠)

ان مفهوم الاصل لدى الناس في الوسط الشعبي يبدو من خلال احساس الفقراء بعقدة النقص ازاء أبناء البيوتات الرفيعة من ذوي القدرة والسلطة والجاه والغنى ٠ ولكن هناك مفهوم للاصل يوضح أن بعض الناس من الممكن أن يكونوا (اولاد أصل) ولكنهم فقراء ويكدحون من أجل لقمة العيش ، وان هؤلاء رغم فقرهم فان فيهم طيبة وأصالة أكثر مما في الاغنياء ٠ وتوضح هذه الفكرة حكاية « ابن الاصل » ، تقول الحكاية :

« مرة زلمة(٧١) اختيار(٧٢) اله ولد مش متجوز(٧٣) قعد ينصحه ٠ قاله أنا بكرة بموت وبدي أنصحك ما تطلع سرك ع مرتك(٧٤) ولا ترافق واحد أكبر منك ٠ واوع(٧٥) تقرب واحد جعان(٧٦) وشبع ٠ راحت الايام ٠ الولد اله أختين ، الكبيرة بدها تتجوز ٠ أجا واحد ابن أصل فقير ، الختيار بده يجوزه اعترظ الولد ، قاله أبوه هذا أصله طيب ، أنا بدي أجوزه وانت بعدي دبر حالك ٠ جوزها للفقير ٠ ومات الختيار ٠ قال الولد أنا بدي أجوز ٠ والله لا دور(٧٧) ع واحد غني مبسوط وابادله ٠ بنفعني ٠ اتبادلوا(٧٨) ٠ يوم ابن الختيار رايح يتصيد والا هو صايد نعامة ٠ قال هذه بتصلح للسلطان ٠ قالوا له الناس اشو بدك بالسلطان ٠ أي هو السلطان عارف هس(٧٩) انت في أنو(٨٠) طابون قاعد قال لا بدي أوديها(٨١) للسلطان ، راح وداها ، قاله السلطان خليها(٨٢) عندك ربيها

---

(٦٩) عن القس أسعد منصور ، تاريخ الناصرة ص ٢٦٦ ٠

(٧٠) اخر الحمائل واخر الغنم لاخير بها ٠

(٧١) رجل ٠ — (٧٢) شيخ من ٠ — (٧٣) غير متزوج ٠

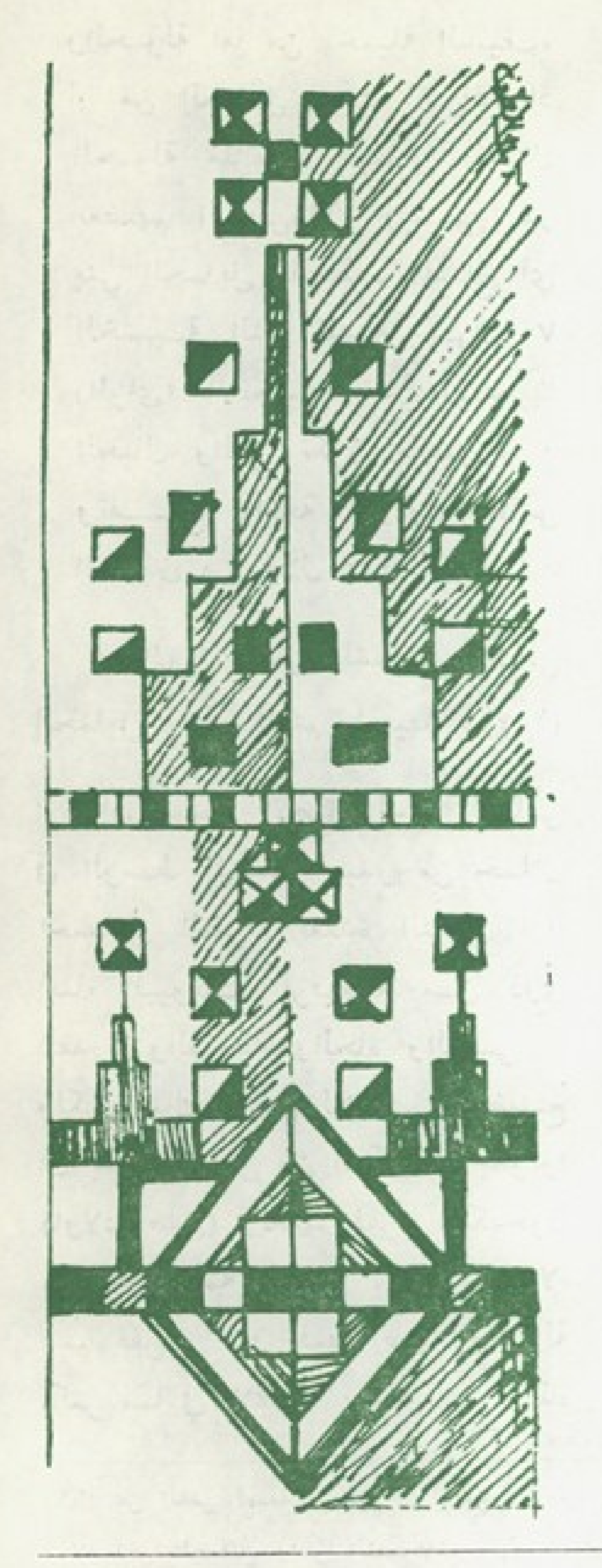
(٧٤) زوجتك ٠ — (٧٥) احذر ٠

(٧٦) جائع ٠ — (٧٧) لابحثن ٠

(٧٨) تزوج كل منهما اخت الاخر ، وانظر زواج البدل في (حرف ز ـ زواج) ٠

(٧٩) الآن ٠ — (٨٠) أي

(٨١) ارسلها ٠ — (٨٢) اتركها ٠



وتاتكبر(٨٣) بتجيبها • أخذها وحطها بقاع الدار ، يوم هو بدرس (٨٤) في قاع الدار • صار يدرس • حط صحن اللبن وقعد يتغدى أجت النعامة هفته بجناحها • ظربها والا هي بين الموت والحياة • ذبحوها وأكلوها •

يوم بقول لمرته هاتيلي الغرظ(٨٥) لفلاني ماردتش(٨٦) ظربها •

المرة مفظحة(٨٧) قعدت تصيح وتقول بده يذبحني مثل ما ذبح نعامة السلطان • واحد مخبر سمع الحكي وحكى للسلطان ، السلطان نادى الزلمة وقاله :

— انت أهديتني النعامة ، وليش ذبحتها ؟ •• اسمع ، يا بتجيب(٨٨) اربعين بعير يا اعدام(٨٩) •

قال الشاب : الاربعين جمل بسيطة • عاد هو ظاوي(*)

رجع الشاب على نسيبه الغني ، شرح له الوضع • ما أعطاهوش (٩٠) الا جدي • راح ع نسيبه الفقير وشرح له المسألة • نسيبه الفقير قام ذبح ناقه وقال لمرته(٩١) حضرى أكل • وراح(٩٢) على راس الجبل ورفع العباة على العصا(٩٣) • أجو أربعين خيال • تغدوا وبعد الغدا قال لهم انه انسيبي واقع في خشبه(٩٤) •• وشرح

---

(٨٣) حتى تكبر •

(٨٤) يفصل الحب عن السنابل •

(٨٥) الشيء •

(٨٦) لم تطعه •

(٨٧) سريعة الغضب وتحب ابراز الفضائح •

(٨٨) تحضر •

(٨٩) احكم عليك بالاعدام •

(*) فقيرا جدا •

(٩٠) لم يعطه •

(٩١) لامراته •

(٩٢) ذهب •

(٩٣) علامة الاستنفار والنفير •

(٩٤) في مشكلة •

القصة • ثاني يوم الاربعين جمل كانوا حاضرين • راح الشاب للسلطان وقـــدم لــه الجمـــال وشرح لـــه كيـف حصـــل عليهـــن • السلطان انبسط(٩٥) وحمـل لــه الاربعين جمل رز وقهوة وقال له أنا أعطيتك الجمال وحمالهن • رجع ع نسيبه مشان(٩٦) يرجع(٩٧) الجمال لاصحابها • أصحاب الجمال قالوا :

– اللي بتف(٩٨) تفه ما بلحسها(٩٩)
وهذا الله أرزقك فيه •• انـت ونسيبك(١٠٠) •

وسألت والدي عن أصل أهالي قرية السنديانه – حيفا ، فقال •

« النـزازلـة اساس البلـد (١٠١) اجو(١٠٢)من فحمة قرية بجنب(١٠٣) كفر راعـي (١٠٤) وأرضهـم ست فدادين(١٠٥) والبلد كلها(١٠٦)أرضها ثلاث فدن(١٠٧) • والعصافرة مـن يعبد • والسوالمة من بدو غزة • ودار أبو اسعيد من دير الغصون(طولكرم) والبواقنة من باقة الشرقية (طولكرم) وأبو جانم من حوران •• واحنا مثل ما انت عارف من دير نظام (رام‌الله) جدنا تميم الداري • واحد(١٠٨) من الصحابة دار (١٠٩) الخمر على الارظ لانه كاشف أن الله سبحانه وتعالى حرم الخمر » •

ببليوغرافيا

– النمر ، احسان
تاريخ جبل نابلس والبلقاء

— Finn, Stirring Times or Records from Jerusalem Consular Chronicles of 1853 - 1856. (London 1887).

— Macalister - Masterman, Occasional Papers on the Modern Inhabitants of Palestine, in : Palestine Exploration Quarterly. London 1906.

— Pierolti : Customs and Traditions of Palestine. Cambridge 1864.

— Bauer, Volksleben im Lande der Bibel. Leibzig, 1903.

— Haddad : Political Parties in Syria and Palestine (Qaisi and Yemeni), in JPOS, I. P. 209 - 214.

— Granqvist : Marriage Conditions in a Palestinian Village I, II.

---

(٩٦) من اجـل •
(٩٧) يعيــد •
(٩٨) يبصـــق •
(٩٩) يستعيدها •
(١٠٠) الجامع (عمر الساريسي) •
(١٠١) اول من سكن البلد •
(١٠٢) جاؤوا •
(١٠٣) بقرب •
(١٠٤) بقضاء طولكرم •
(١٠٥) ستة أفدنة •
(١٠٦) أهل البلد كلهم •
(١٠٧) ثلاثة افدنه •
(١٠٨) شخص •
(١٠٩) ســكب •
(٩٥) ســر •

دراسة الفولكلور الهندي

تأليف : سنكر چوبته
ترجمة : فاروق جرار

(١)

لقد بدأت دراسة الفولكلور في الهند مع قدوم موظفي الحكومة البريطانية لغايات تحسين الادارة في الهند ومع المبشرين المسيحيين لتمكينهم من تفهم طبيعة الشعب الهندي وتركيبه الاجتماعي بشكل افضل يساعد على نشر الدين المسيحي

وقد بدأ البحاثة الهنود دراساتهم الفولكلورية في نفس الوقت تقريبا • ويمكن القول ان العمل في دراسة الفولكلور بدأ في اوائل القرن الثامن عشر على يد نفر من جامعي التراث والبحاثة من ذوي الثقافة •

ويمكن فهم الفولكلور الهندي بشكل افضل اذا نظرنا اليه من النواحي التالية :

١ ـ الخلفية التاريخية والتراثية : دور البريطانيين في الهند ، اثر الحكم البريطاني ، دور الموظفين البريطانيين في التربية والتقدم بشكل عام •

٢ ـ ما قدمه المبشرون المسيحيون للتربية والفن والادب والثقافة وعلم الاجتماع والفولكلور ، واثر الثقافة على الاجيال الجديدة ، ودور المبشرين في الدراسات الاجتماعية التراثية الانثروبولوجية بين القبائل الهندية •

٣ ـ نمو الشعور القومي وتزايده واثر ذلك على احتضان الادب والثقافة والفن والموسيقى والفولكلور من قبل المسؤولين في قمة السلطة • كما يمكن دراسة ذلك كله ضمن التقسيمات الزمنية التالية :

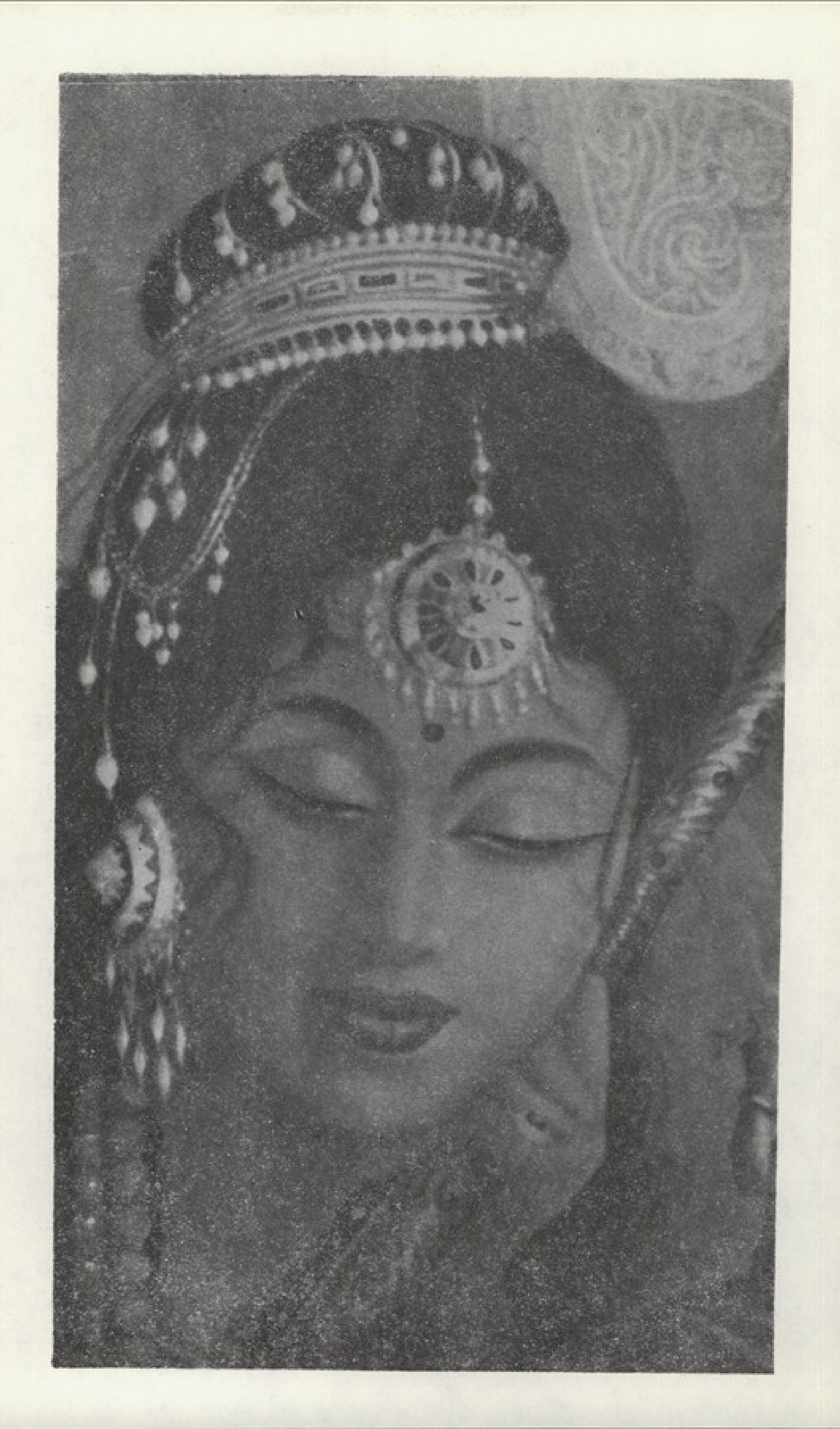
١ ـ الفترة المبكرة :

أ ـ مرحلة التكوين ١٧٨٤ ـ ١٨٥٧

ب ـ المرحلة الثانية ١٨٥٨ ـ ١٨٧٨

٢ ـ الفترة المتوسطة :

أ ـ المرحلة الاولى ١٨٧٩ ـ ١٩١٩



ب ـ المرحلة الثانية ١٩٢٠ ـ ١٩٤٧

٣ ـ الفترة الحديثة : وتبدأ مع استقلال الهند عام ١٩٤٧ · وهي فترة مليئة بالاحداث بالنسبة للفولكلور ويمكن قسمتها الى مرحلتين :

أ ـ من ١٩٤٧ ـ ١٩٥٥

ب ـ من ١٩٥٦ حتى اليوم ·

(٢)

أن دراسة الفولكلور ترتبط بتاريخ الاهتمام بالدراسات الهندية ، اعتبارا من عام ١٧٨٤ تقريبا عندما اسس السير و· جونز جمعية البنغال الاسيوية · الا ان الفوضى والتخبط ضربا اطنابهما في البلاد منذ ذلك الحين حتى حرب الاستقلال الاولى عام ١٨٥٧ مما ترك اثره على الدراسات الفولكلورية الهندية · وفي عام ١٨٥٨ صدر (القانون الجديد) الذي اصبح التاج بموجبه مسؤولا عن الادارة مما حدا بموظفي الحكومة والمبشرين المسيحيين للاهتمام بفهم التركيب الاجتماعي للمجتمع الهندي بشكل صحيح ليتمكنوا من اداء واجبهم على وجه افضل ·

أن تأسيس جمعية الفولكلور في لندن عام ١٨٧٨ يعتبر نقطة تحول في تاريخ الدراسات الفولكلورية في الهند · فقد حفزت هذه الجمعية ومثيلاتها في العالم العديد من الباحثين الهنود الذين يعرفون الانجليزية لمطالعة ما يصدر عنها من نشرات ودوريات وللاهتمام بالتراث الهندي· فمنذ ذلك التاريخ بدأ جمع التراث الهندي بشكل منظم واستمر دون انقطاع حتى عام ١٩١٩ ، الا انه يمكننا تقسيم هذه الفترة الى مرحلتين متميزتين : أ ـ من ١٨٧٩ الى ١٨٨٩ ، ب ـ من ١٨٩٠ الى ١٩١٩ · وقد تأثر دارسو الفولكلور الهنود باصحاب مدرسة (البقائية) الانجليز من مثل تيلور ، فريزر ، جوم ، لانج ، هارتلاند ، بيرن وغيرهم الذين كانت دراساتهم تقرأ في الهند ·

واذا نظرنا الى الوجه الاخر للمسألة ، نرى أن نظرية بنتي وماكس مولر لقيت رواجا كبيرا ، ومؤداها أن الهند هي المصدر الاساسي للاقاصيص الخيالية الاوروبية · وقد روج لهذه النظرية الباحثون الهنود واستعملها دعاة القومية في توعية الناس على ماضيهم· وكانت النتيجة ان العديد من الباحثين الهنود اقتبسوا افكارهم من بنتي وماكس مولر ، بينما القليل منهم تبعوا اصحاب (البقائية) · وتلاقى العديد من الباحثين مع دعاة القومية وقادة حركة التحرر · وهنا بدأت حركة دائبة لترجمة الملاحم والقصص

الهندية القديمة كالمهاباراتا وغيرها من قبل البحاثة الاوروبيين المهتمين بالدراسات الهندية . وهذا كله اسهم في رفع الدراسات الفولكلورية .

ومهما كانت الاسباب الفعلية وراء اندفاع الباحثين الهنود في دراسة الفولكلور فانه مما لا شك فيه ان دراسة الفولكلور في الهند كانت قد ترسخت قبل رحيل البريطانيين عام ١٩٤٧ وانها بدأت تتخذ اتجاها جديدا بعد الاستقلال وخاصة بعد تأسيس (جمعية الفولكلور الهندية) عام ١٩٥٦ . فقد استقطبت نشاطات الجمعية عددا كبيرا من الباحثين والدارسين الاكاديميين .

أن الدراسات الفولكلورية قبل الاستقلال تشتمل على قدر قليل من التحليل النقدي وعدم اهتمام باتباع الاسلوب العلمي .

بينما تتميز دراسات ما بعد الاستقلال بأسلوب موضوعي بعيد عن التحيز ونظرة علمية رصينة .

(٣)

أن دراسة الفولكلور تظل منقوصة دون نظرة متعمقة في التاريخ والثقافة . أن الهند تنقسم الى ثلاث مناطق متميزة : ١ ـ منطقة جبال الهملايا التي تبدأ من التيبت وتشتمل على سلسلة من الجبال تسير في خطوط متوازية لتلتقي في مجمع جبلي ثم تنقسم لتترك متسعا للوديان من مثل وادي كشمير ووادي كولر . والى جنوب الهملايا تجرى عدة انهار مثل سولتيج وجامونا وكوشي .

وسكان هذه المنطقة لهم ثقافتهم ولغتهم ولهجاتهم وطعامهم وانماطهم المعيشية وجميعها تختلف عما يوجد لدى سكان المنطقتين الأخريين ولديهم ايضا ظروف مناخية مختلفة .. ومن هنا فلا بد أن يكون تراثهم الشعبي مختلفا .

واذا ما نظرنا الى السهل الهندي الكبير نرى انفسنا امام واحد من اكبر سهول العالم يضم في رقعته الواسعة اراضي صحراوية واراضي خصبة جدا ومستنقعات واراضي منخفضة . وسكان هذه المنطقة يتحدثون بعدة لغات ولهم لهجات متعددة وعادات متنوعة تتصل بطعامهم وشرابهم .

وثيابهم تتغير من جهة اخرى بحسب الظروف المناخية ، وتراثهم الشعبي مختلف الى درجة كبيرة عن تراث سكان منطقة جبال الهملايا . الا أن التراث المتصل بالحياة والعيش متشابه لتشابه مشكلات الحياة نفسها في المناطق الثلاث ، مع وجود

الاختلاف في الطقـــوس والشعائر الدينية ·

والمنطقة الثالثة الهامة في الهند هي منطقة شبه الجزيرة ، وهي منطقة متسعة مرتفعة عن سطح البحر فيها تقع معظم ثروات الهند المعدنيـــة وخاصة الحديـــد والمنغنيز والفحم الحجري · ولاهل هـــذه المنطقـــة اسلوبهم المعيشي الخاص وتراثهـــم الشعبي المتصل ببيئتهم المحلية ·

(٤)

أن الهند تضم اراضي مساحتهـــا ٤ر٢٪ من مساحة الارض في العالم يعيش عليها ٦ر١٤٪ مـــن سكان العالم ، اذ يزيد سكان الهند عـــن (٥٤٠) مليون نسمة اســـتنادا الى الاحصاء الذي تم عام ١٩٧١ · وتعتبر الهند البلد الثاني في العالم ــ بعـــد الصين ــ بالنسبة لعدد الســـكان ، ويعتبر ٧ر٧٠٪ من سكانها اميين · وقد كانت نسبة الاميين ٧٦٪ عام ١٩٦١ و٤ر٨٣٪ عام ١٩٥١ · ويبدو للناظر لاول وهلة أن عدد الاميين يقل تدريجيا الا أن نسبة تزايد السكان تتزايد بشكل اســـرع من تزايـــد المتعلمين ·

ففي عـــام ١٩٥١ كـــان هناك (٣٠٠) مليون أمي في الهند وقـــد ارتفع العـــدد الى (٣٣٤) مليون عام ١٩٦١ والى (٣٨٧) عام ١٩٧١ ·

وهـــذه الارقام تؤثر لـــدى دراسة الفولكلور الهندي ، أذ أن الفولكلور لدى هذه الملايين العديدة من الاميين هو فولكلور محكي · وفي الوقت ذاته يجب أن نتنبه الى حقيقة هامة هي ان الحضارة الهندية تجد اساسا لهـــا في التقاليد ، والتقاليـــد في الهند كانت اوقع أثرا من اي تراث مكتوب لدى الامم المتعلمة ·

أن النساء هن حمـــلة شـــعلة الفولكلور ، اذ هن اكثر التصاقـــا بالتقاليد والطقوس · ونراهن بشكل عام يحملن معهن ــ حتى لو ارتحلن الى المدينة ــ الاشـــياء والافـــكار التقليديـــة · ونراهن اكثـــر قبولا للسحر والاشباح والخرافات · ومن هنا لا بد من الاهتمام بالمرأة الهندية لاغراض هذه الدراسة ·

فقد ظهر بنتيجة احصاء عـــام ١٩٧١ أن هناك (٩٣٢) امرأة هندية مقابـــل كـــل (١٠٠٠) رجل · والفولكلور تنميه المرأه في الـــهند وتغذيه وتخلق نماذج جديدة منـــه باستمرار ·

والفولكلور تختلف نماذجه لدى الطبقة العاملة · ويتضح من احصـــاء عام ١٩٧١ ان الطبقة العاملة الهندية تشكل ٥٤ر٣٣٪ من مجموع الشعب· وقد كانت نسبة الفلاحين عام ١٩٦١ تشكل ٧٨ر٥٢٪ بينما اصبحت عام ١٩٧١ تشكل ٨٧ر٤٢٪ ·

وبينما تناقصت نسبة الفلاحين بشكل عام ازدادت نسبة العمال الزراعيين من ١٦ر٧١٪ عام ١٩٦١ الى ٢٥ر٧٦٪ عام ١٩٧١ • وتتنوع نماذج الفولكلور تبعا لتنوع طبقات الشعب وتغير اعدادها • فالقرويون ـ لدى احتكاكهم بسكان المدن او نزوحهم اليها ـ لا يستطيعون الفكاك من تراثهم القروي ، ومن ثم يخلقون انماطا جديدة من الفولكلور على مبدأ (خذ وأعط) • الا أن طقوسهم وعباداتهم لا يلحقها تأثير المدينة بل يظلون فيها متمسكين بماضيهم •

(٥)

أن الهند دولة نامية ، تفتقر غالبية جماهيرها للازدهار الاقتصادي وغالبية السكان لا زالت تقطن القرى حيث أن الزراعة تمثل الحرفة الاساسية في البلاد ومعظم الناس تتصف حياتهم بالتأخر الثقافي النسبي اذا قورنوا بسكان المدن نظرا لغياب اللمسات الحضارية عن القرى • ومن هنا نرى انهم ـ ولو سكن بعضهم المدن ـ يحتفظون بافكارهم القديمة وعاداتهم وتسلياتهم وطقوسهم وعباداتهم ومعتقداتهم وطريقة نظرتهم الى الامور • وهكذا يتشابه القرويون وسكان المدن المتمسكون بتقاليدهم ، وهؤلاء جميعا يشكلون اغلبية تبلغ نسبتها ٨٠٪ من سكان الهند •

أن تقدم العلم والتكنولوجيا يسهم في تغيير الناس هذه الايام • ونتيجة لذلك ، فلا بد ـ عند دراسة الفولكلور في الهند ـ من النظر في الفولكلور الذي تخلقه النساء ، والطبقة العاملة ، والاميون ، وشبه الاميين ، كذلك سكان القرى والطبقات المتأخرة من سكان المدن الذين يقل تأثير الحضارة الحديثة عليهم •

أن الكثير من الفولكلور يتكون نتيجة التفاعل بين الجيل القديم والجيل الجديد ، ولا ننسى في هذا المجال التناقض بين قيم الاجيال القديمة والمعاصرة بالنسبة لروتين الحياة اليومي والسلوك وانماط العبادة •

وقد اكد عدد كبير من الباحثين أن التقاليد تعتبر اهم عامل فعال في نقل الحضارة الهندية من جيل لاخر • فالحضارة الهندية لم تشهد تحركا الا في السنين الماضية منذ بداية هذا القرن ، ومع وجود هذا التحرك لا زلنا نرى قلعة الحضارة القديمة راسخة لدى اغلبية سكان القرى

وبعض المتأخرين حضاريا من سكان المدن • وهذه الحضارة القديمة هـي التي نسميها الفولكلور الهـنـدي • ودراسة الفولكلور تعني دراسة هؤلاء الناس ، اذ ان جميع الطبقات لهـا دورها الواضح في البناء الحضـاري ـ الاجتماعي في الهند • وبسـبب تنوع الناس غدا الفولكلور الهنـدي متنوعا في عناصره وظهرت عليه اثار البيئات المحلية والصفات الفرديـة المميزة لكل مجموعة من الناس ، ومع ذلك ـ وهذا امر جدير بالملاحظـة والاهتمام ـ ظل ينحو نحو الوحدة اكثر مما يتجه للتنوع • وصرنا نرى في الحضارة الهندية الوحـدة في التنوع •

(٦)

لقد تعاقبت على حكم الهند عدد من القوى الخارجيـة في موجـات متتابعة جالبة معها افكـارا واراء مختلفة ، الا انه منذ منتصف القرن التاسع عشر ـ منذ عام ١٨٣٥ على وجه التحديد ـ غدت الانجليزية لغة التعليم بشكل رسمي ، وقد ترك هذا الامر اثره الواضح على النمط الحياتي للناس وعلى العديد من معتقداتهـم وأساليبهم •

وقد شارك المتعلمون والاميون في الهند في حركات عديدة للتخلص من القوى الخارجية ، ولعل من ابرزهـا حرب الاستقلال الهندية الاولى عام ١٨٥٧ التي انتهت الى الاخفاق لكنها اجبـرت البريطانـيين على تغيير سياستهم واجراء بعض الاصلاحـات الادارية ، التي كان من نتيجتها بداية حكم التاج عام ١٨٥٨ • وبعد ابتداء حكم التاج شهدت البلاد ما يسمى (بالعصيان الازرق) • وشـهدت حركة الحكم الذاتي بدايتها الناجحة عام ١٨٨٥ بالمؤتمر الهندي الوطني • وقد غيرت هذه الحركات وجه الهند وادت الى حصولها على الاستقلال عام ١٩٤٧ •

وقد كانت الدعوة توجه دائمـا للناس للحفـاظ عـلى تقاليدهم وحضارتهم ، وشارك في توجيه الدعوة القادة الوطنيون مثل المهاتما غانـدي والقادة الدينيـون مثل سـوامي فيفيكانانندا والقادة الفكريون مثـل رابندرانات • وقد طالبوا سكان المدن بالتوجه نحو القرى لمساعدة اهلهـا واستجاب الناس ، وشـددوا على ضرورة الحفاظ على التراث الشعبي الهندي وعلى الصناعـات والفنون اليدوية والتقليدية • وقـد كتب طاغور في الثمانينات في القرن الماضي العديد من قصائده الموجهة للعمال ، وكتب المهاتما غانـدي عددا مـن المقالات في مجلة (هاريجان) ، وحاضر سوامي فيفيكانـدا •• وجميعهـم

يهدفون الى حث الناس للحفاظ على تراثهم الموروث • وهكذا جاءت فترة من الانتعاش والتجدد لم تشمل السياسة فحسب بل لمست الجانب الثقافي الادبي الاجتماعي •

(٧)

لقد اسلفنا أن الاهتمام بالتراث وجمع الفولكلور بدأ مع اطلالة القرن الثامن عشر ، ولكنه لم يأخذ اسلوبا علميا انذاك •• وحتى في القرن التاسع عشر لم تكن الدراسات التاريخية في الفولكلور قد بدأت • وقد كان حماس الباحثين والعلماء مدفوعا بالروح الوطنية ، وكان بعضهم مدربا على اساليب البحث العلمي وبعضهم الاخر يعوزه التدريب ، فبدأوا يجمعون اعدادا كبيرة من القصص الشعبية والاغاني والقصائد الشعبية والامثال والاحاجي والخرافات من جميع اطراف الهند • وصارت هذه المادة التي جمعها الباحثون تظهر في مقالات باللغات الاصيلة ويترجم بعضها الى اللغة الانجليزية • كذلك ظهرت بعض الكتب والمقالات التي وضعها باحثون اجانب عن الفولكلور الهندي ، وبعض الكتب من وضع الباحثين الهنود •

أن بعض المهتمين بالتراث الهندي من الاجانب بدأوا بترجمة الاثار الهندية القديمة الى الانجليزية وعلى رأسها البانشاتانترا والمهاباراتا • ثم ظهر بعد ذلك بقليل أن البانشاتانترا هو اقدم كتاب شعبي في العالم • وصاحب هذه الترجمات للاثار الهندية القديمة ظهور بعض الكتب في الفولكلور •

وأول كتاب ذي قيمة عن القصص الهندية الشعبية هو (ايام ديكان القديمة) لمير فرير عام ١٨٦٨• وجاء بعده (قصص اليقظة) ، ثم (الاحتفالات والفولكلور في جلجيت) لغلام محمد و (الدين والعادات لدى اليرون) للاب ديهون ، و (اغاني وفولكلور البنجاب) لجي أبوت ، و (اساطير البنجاب) لآر • سي • تمبل و (قصص اليقظة) للمؤلف ذاته ، و (القصص الشعبية في البنغال) لال• بي داي ، و (القصص الشعبية في اسام) لجي • باروواه ، و (الفولكلور في جنوبي الهند) لناتيش شاستري ، و (القصص الشعبية في البنجاب كما يرويها الناس) لاف • اي • ستيل واخرين •

ومع اطلالة القرن العشرين بدأت حركة جديدة لنشر الفولكلور والحفاظ عليه ، فجمع سواينيرتون (قصص رومانسية من البنجاب) عام ١٩٠٣ ، ونشر ف• هاهن

(اصول الفولكلور في كوروخ) عام ١٩٠٥ ، وظهر لاي · ثيرستون (قبائل جنوب الهند) عام ١٩٠٩ ، و (الخرافات والتعاويذ في جنوب الهند) عام ١٩١٢ · واستمر اهتمام الباحثين الاجانب بالموضوع ، فظهر (روايات حاتم) لاي ستاين ، وقام جي · اي· جريرسون بتحرير (اقاصيص كشمير واغانيها) عام ١٩٢٧ · وكان جريرسون قد نشر (حياة المزارعين في بيهار) عام ١٩١٨ ، و (دراسة لغوية للهند) ما بين ١٩٠٣ و ١٩٠٧ ·

ثم كان البحاثة الهنود · اذ جمع دي · سي · سن (اغاني شرقي البنغال) في اربعة مجلدات ونشرتها جامعة كلكوتا بالانجليزية والبنغالية ما بين ١٩٢٣ و ١٩٣٢ ، ووضع ايضا (الادب الشعبي في البنغال) عام ١٩٢٠ · وكان جي· اس· دات مهتما بالفن الشعبي والصناعات اليدوية ، وقد اسس (جمعية براتاشاري) عام ١٩٣٢ · اما اس · سي · ميترا فقد اسهم في الكتابة الى العديد من المجلات الفولكلورية ومنها : (المجلة الفصلية لجمعية الاساطير) ١٩٠٩ ، (المجلة الفصلية للجمعية الانثروبولوجية في بومباي) ١٨٨٦ ، (المجلة الهندوستانية) في الله آباد ، (المجلة الوطنية) · ويعتبر اس · سي · روي أب الانثروبولوجيا الهندية ، وقد اسس مجلة (الانسان في الهند) حيث كتب العديد من الابحاث والمقالات · واسهم في الكتابة في (المجلة الحديثة) ١٩٠٧ ، و (مجلة كالكوتا) ١٨٤٤ ، و (مجلة الجمعية الاسيوية في البنغال) ، و (مجلة جمعية البحث العلمي في بيهار واوريسا) ١٩١٥ ، وغيرها · وقد تمكن من تشكيل عدد من الجماعات المهتمة بدراسة الانثروبولوجيا والقبائل والفولكلور في الهند · وتتابعت الابحاث والمؤلفات ، ومن اعلام الباحثين والكتاب : اس· كي بويان ، بارام بورا ، منصور الدين ، طاغور ، جيجوباي ، جابرشاند ميغاني ، اس · بارخ ، راهول سانكريتيايانا ، ديفيندرا ساتيارتي ، ساتيندرا ، ب·ك ساركار ، اس · ب· داسجوبتا ، هـ· سي· شاكلادار، ايراواتي كارفي ، ب· توماس ، وكثير غيرهم ·

ويعود الفضل في كتابة اول كتاب منهجي منظم عن الفولكلور الهندي لوليم كروك · فكتابة (الدين والفولكلور في شمال الهند) الذي

ظهر عام ١٨٩٤ يعتبر مرجعا اساسيا يعتمد عليه جميع الباحثين في انحاء الهند ٠

(٨)

وهناك مجموعة من الدراسات كتبت باللهجات المحلية وظل نطاقها محصورا في المناطق التي تتكلم تلك اللهجات ٠ وبذلك ظل الباحثون في بعض اجزاء الهند يجهلون ما قام به زملاؤهم في الاجزاء الاخرى ٠ وفي الخمسينيات من هذا القرن بدأ باحثو الفولكلور يتعرفون الى دراسات زملائهم والنشاطات الفولكلورية المختلفة عن طريق مجلة (الفولكلور) و (جمعية الفولكلور الهندية) في كلكوتا ٠

وتشجع جهات عديدة الباحثين في الفولكلور ، ومن هذه الجهات المجلات المحلية والصحف وجمعيات البحث العلمي العامة منها والخاصة ، مما حدا بالعديد من المهتمين لزيادة نشاطهم فيميدان البحث الفولكلوري٠ ويتضح الاهتمام العام بالفولكلور في المساحات التي تخصصها الصحف والمجلات للبحث الفولكلوري ، والزيارات التي تقوم بها الجماعات العديدة للاماكن ذات الاهمية الفولكلورية ، والعناية التي تبديها المؤسسات العامة والخاصة في تنظيم الحلقات الدراسية والمؤتمرات التي تعنى بشؤون الفولكلور ٠

وبالرغم من هذا كله فان دراسة الفولكلور لم تصل بعد الى مرحلة الدراسة المنظمة المنهجية ، ولم يتم الاعتراف بعد بالفولكلور كمبحث اكاديمي مستقل ٠

لقد ادى جيمس بيرجس خدمة عظيمة لدراسة الفولكلور في المراحل الاولى ، اذ رأى أن الفولكلور مبحث خاص يستأهل العناية ٠ وقد كان كتابه الموضوع عام ١٨٧٢ باعثا للعديد من الباحثين الهنود للاهتمام بالموضوع ٠كما أن المجالات العديدة المتخصصة والتي اشرنا اليها سابقا ساعدت الباحثين الهنود بنشر انتاجهم وتشجيعهم على الاستمرار في دراسة الفولكلور،مما حدا ببعضهم الى المتابعة ومن ثم نشر كتب ومجموعات وضعتهم في مصاف الكتاب المشهورين ٠

وهناك العديد من الاساتذة الامريكيين المهتمين بالفولكلور الهندي والذين ساهموا في تدريب بعض الباحثين ، ومن اشهرهم : تومسون ، ر٠ م٠ دورسون ، نورمان براون وهاينز مور ٠

أن تطوير دراسة الفولكلور في الهند لا زال محتاجا الى خطوات

اخرى لعـل من اهمهـا : تشجيع الباحثين الاصيلين الـذين يعرفون اساليب البحث الاكاديمي ويؤمنون بقيمة الفولكلور واهميته ، والسماح لمثل هؤلاء بالانضمـام (للمجلس الهندي للبحث العلمي الاجتماعي) الذي اسس في اوائل السـبعينات بهـدف تطوير البحـث العلمي الاجتماعي في الهند .

انه مما لا شك فيه أن دراسة الفولكلور تتشابك مع موضوعـات اخرى عديدة ، ومن هنا كان لا بد للباحث الفولكلـوري من الاستعانة بالانتروبولوجيين واللغويين والمؤرخين والنقـاد الادبيـين وعلماء النفس والموسيقين وعلماء الاجتماع واخرين غيرهم . ومع ذلك لا بد للفولكلور من الوقوف كمبحث مستقل له كيان خـاص ، مـع ارتباطـه الوثيق بالانثروبولوجيا اذ ان كليهما يبحث في مناحي الحضارة الانسـانية وان اختلفت اساليب البحث والنظرة الى الامـور لـدى الانثروبولوجيين والفولكلوريين .

أن الفولكلور في المجتمعات الامية هو صنو للحضارة . ولا يمكن فهـم الحضـارة لمجتمع ما دون معرفـة فولكلور ذلك المجتمع وهنا يتلاقـى الانثروبولوجيون والفولكلوريون .

(٩)

أن معظم ما كتب في الفولكلور هو كتب عامة ، ولم يكتب في الهند حتى الان كتاب يمـكن اعتماده ككتاب لتدريس الفولكلـور . والفولكلور ـ كما اسلفنا ـ لا يدرس في الجامعات على مستوى الشهادة الجامعية الاولى او الثانية ، مع اننا نرى بعض طلاب الدكتـوراة يعتمـدون الفولكلور موضوعا لاطروحاتهم . ومعظم مـا يقدمه الاساتذة لطلابهم عند الحديث عن الفولكلور مادة قديمة مكرورة ـ ومن هنا كانت الحاجة لكتاب شامل يصلح اساسا لاعتماده في التدريس بحيث يتـلقى الطـلاب معلومات صحيحة تعينهم على فهم تراث بلادهم، وتضع في ذهنهم صـورة سليـمة للفولكلور كمبحث اكاديمي جديـر بالاهتمام .

وليس الوقت ببعيد عندما يصبح الفولكلور في الهند مقبولا كمبحـث اكـاديمي مسـتقل ، وينظر الى الفولكلوريين الهنـود كبحاثة لهم وزنهم في الحفاظ على التراث وجمعه وتحليله ووضعه في الاطار القومـي الصحيح دون وصاية تفرض عليهـم من زملائهم البحاثة في الحقول الاخرى التي ظن الكثيرون ولفترة طويلة أن الفولكلور يشكل جزءا منها .

الأكل الشعبي

بقلم : نمر حسن حجاب

لماذا هذه الدراسة :

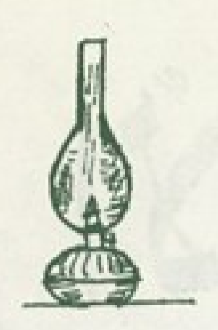
أن الشوق الذي شدني الى كتابة هذا الموضوع هو في حد ذاته تعبير عن رغبة اعمق في اتحادي مع نفسي ومع الشعب الذي انتمي اليـــه . ان واقعنا الذي ننتمي اليه غدا منذ امد طويل شبحا لما كان عليه ، فما من ارض وشعب في الوجود تعرضا لغزو الغزاة ومحاولة طمس تقاليدها كبلادنا وشعبنا ، ولكن بالرغم من ذلك فقد صمد شعبنا امام التحديات المختلفة فعاداتنا وتقاليدنا لا زلنـــا نحياها ، ولو بعدنا عن بلد الاباء والاجداد ، ولعل ذلك يعود الى اصالة شعبنا والى اننا جيل الشباب لا زلنا نحيا مع من عاشوا فلسطين بافراحها وليالي سمرها والذكريات الجميلـة التي نقلوها معهم من فلسطين .

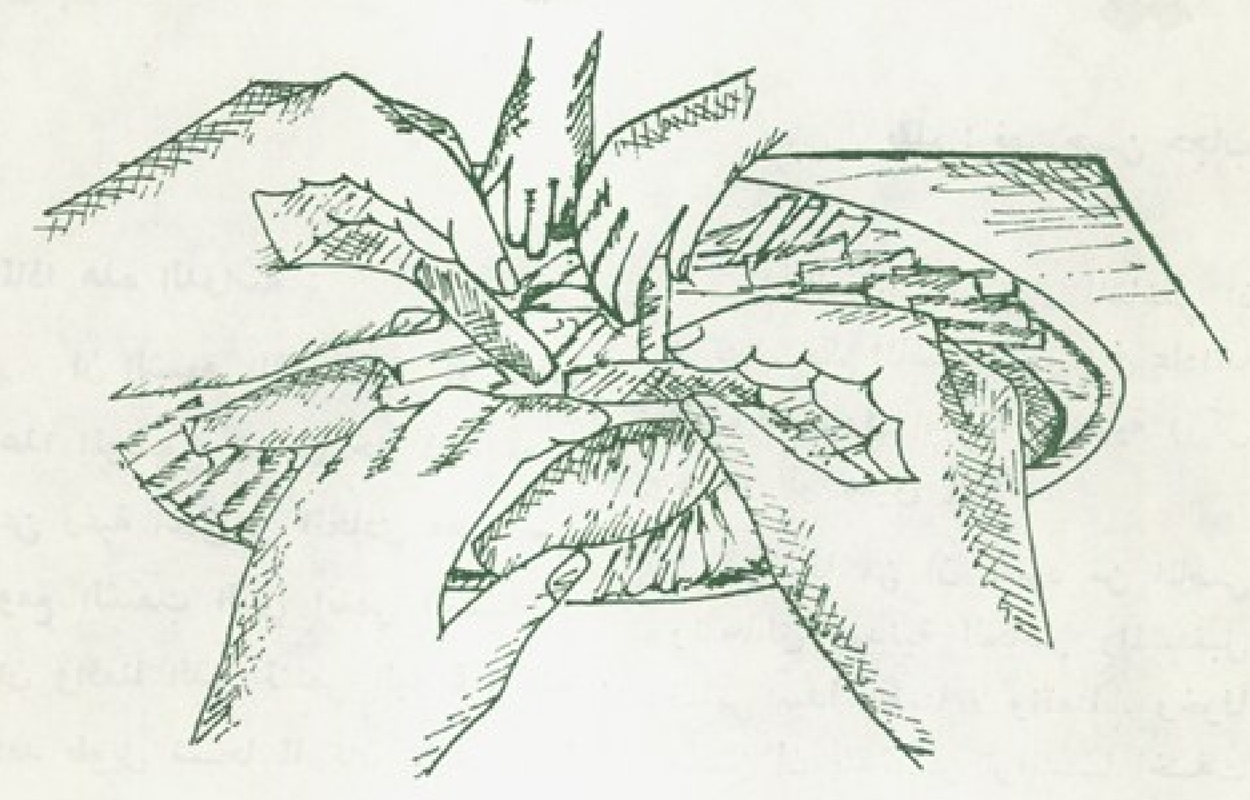
أن الجديد استمرار للماضي اذ لا يزال حكم الماضي موجودا في عاداتنا وتصرفاتنا وفي امثالنا الشعبية (كل جديد الو عتيق) .

وخوفا من ان نشرد من الماضي ونتحذلق بمدنية الحاضر والمستقبل فنلغي مبدأ واقعنا لا واقعنا ، وخوفا مـــن أن يندثـــر تراثنـــا أخـذت منذ سبع سنوات ونيف على جمـع الاغنية الشعبية والامثـــال الشعبية والغذاء الشعبي في شمال فلسطين من المسنين والمسنات الـــذين تربوا وعاشوا في هـــذه المنطقة مـــن وطننا المحتل ، الذي هوده اليهود حتـــى الدماغ . ولم اعبأ بما لاقيت مـــن من صـــنوف الصد والـــرفض ولم ايأس لاني احب بلدي واحب ان يبقى لها تراثهـــا ، فالتـــراث لا يحفظ بالسلبية بل بجهد المخلصـــين من ابنائه .

---

(١) المقدمة من كتاب الاكلات الشعبية في شمال فلسطين لكاتب المقال .





أن حضارة القرية الفلسطينية خاصة في شمال فلسطين في طريقها الى الزوال والكثير منها قد زال منذ امد طويل فالقسم الاكبر قد هدم واهمل او حول الى مزارع والقسم الباقي هجر منه اهله بقوة السلاح ولم يبق في الشمال سوى قلة قليلة من ابنائه ٠

أن معالم القرية الفلسطينية العربية في الشمال لم يعد له وجود فالبيت قد تغير اثاثه وادواته وساحة القرية والديوان قد زالا ودكان القرية قد تحول الى مخزن كبير والعرس لم تعد له بهجته واغانيه حتى الملابس الفلسطينية الشعبية قد هودها اليهود ٠ ولم يعد ذكر للاكلات الشعبية كالمغربية والمسخن والزلابيه والكبه والعوامه وغيرها من الاكلات الشعبية التي كانت منتشرة هناك ٠

من هنا كان لا بد لي من جمع مادة التراث الشمالي وخاصة الاكل الشعبي الذي لم يتطرق له باحث قط حتى المستشرقين الذين جاءوا لبلادنا وكتبوا عن تراثنا في وقت كانوا يعرفوننا قبل ان نعرف انفسنا ٠

حظيت جميع انــواع المأثورات الشعبية في السنوات الاخيرة باهتمام الدارسين والباحثين كالاغنية الشعبية والقصص الشعبي والالعاب الشعبية والزخرفة والموســيقى وغيرها • ولكنــه وللاســف الشديد اهمل الدارسون لا في بلدنا وحده بل في كافة اقطارنا العربية اذ لـم تخرج دراسة عن الاغذية الشعبية حتى ولا من المستشرقين(١) مع ان الاغذيــة الشعبية حلقة رئيسية وحيوية بـين الحلــقات التــي ينتظمـها الاطار الحضاري لمجتمعنا ولكل المجتمعـات فهي كغيرها من الفنون تعكس صورة حقيقية للمجتمع •

وكل من يبحث عن اصالة فنوننا الشعبية لا يستطيع ان يتجاهــل اغذيتنا الشعبية عماد حياتنا • فمن الاغذية الشعبيــة تتشــعب معظم المعارف والعلوم والفنون الشعبية ، فاغاني الحصاد والدراس وجــول الزيتون يوحيها الغـذاء الشــعبي والنقوش التي تزخرف بهــا ادوات الطبخ الشعبي تحكي فلسفة الانسان الشعبي عندما يجلس حول طبليـة السفرة •والثقافة الشعبية التي تخلو من ذكر الطعام ومن تاثيرها وتأثرها به تعتبر ثقافة ينقصها الشمول او هي ثقافة شعب ميت لم يعش ولـم يخلق بعد •

ولمـا كان دارســو المأثورات الشعبية يقومون بدور اساسي في نقل خبرات الاجيال السابقة الى الاجيال اللاحقة ، لذا كان من واجبهم نقـل خبرات جانب مهم من حياة شعبنا الا وهو طعامه وشرابه وادوات طبخه • ومنه يتعرفون على مستوى معيشته وقيمه الجمالية التي اضفاهـا عـلى صنــوف طعامه وشرابـه وادواتها وبالتالي على الثراء النفسي والاجتماعي لهذا المجتمع •

ان نقل الاكلات الشعبية بطريق الممارسة العملية يجعلها اصدق انواع الفنون الشعبية تعبيرا عن مجتمعنا الشعبي ، لانه عايشها اثناء طبخـه لها وتذوقها • فالفلاحة تربي ابنتها منــذ الصغر وتدربهــا على الطبخ فترافقها في المطبخ تراقبها وتساعدها حتى اذا ما انتقلت الى عش الزوجية كانت طباخة ماهرة كأمها تعد لزوجها اشهى المأكولات وتقوم بواجبــات ضيوفه تستقبلهم في غيابه وتعــد القهوة السادة لهم والطعام الشــهي الكثير •

ان الناحية الغذائية تتأثــر الى حــد كبــير بالعــادات والتقاليد والمعتقدات الاجتماعية التي ينشــأ في ظلها الفرد فعادة الغذاء كبقيــة العادات تتكون في الصغر فتصبــح جزءا من حياة الفرد لا يمكن تغييرها

في المستقبل – بل يمكن تعديلها – خاصة وان الكثير من المعتقدات المتصلة بالنواحي الغذائية لا تقوم على اساس سليم من الناحية العلمية كقولهم : « السمك واللبن بورث الهبل » او «كل أكل الجمال وقوم قبل الرجال » و « اول الثمار بطول لعمار » ٠

وقد اثبتت دراستي الميدانية ان الجماهير الفلسطينية المنتشرة في كافة الاقطار العربية اثرت وتاثرت الى حد ما بعادات وتقاليد شعوب المنطقة ولكنها لم تتاثر كثيرا بعادات وتقاليد الاكل الشعبي لهذه المناطق ، واعتقد انها اثرت اكثر ما تاثرت في هذه الناحية ٠ فلم تغير نظام اكلها وعاداته ، ولم تنتقل الى انواع جديدة لم تالفها من قبل ٠

وعادة الاكل من الصعب التدخل فيها من الاخرين الا فيما ندر كمدح الطباخة الشعبية التي اعدت هذا الصنف من الطعام او ذاك في الاكلات الاحتفالية كان يقول الضيوف : « الله يسلم ايد اللي طبخت ها الطعام » ولذا نرى ان من شب على اكلات شاب وهو ياكلها ، فالمثل الفلسطيني يقول : « كل على كيفك والبس على كيف الناس » ٠

أن معظم الاكلات الاحتفالية خاصة للضيافة يقتصر في بعض الدول العربية المضيفة على المنسف والجميد او صنف واحد من الطعام ، ولم يتأثر الفلسطينيون الشماليون بعادات هذه البلاد ، بل بقوا على اصالتهم يقدمون لضيوفهم شتى انواع الطعام والخضار الموجوده في الموسم حتى لتكاد غرفة الضيافة تغطى بالصحون المصفوفة والمملوءة بشتى انواع الطعام على الجانبين وتصف بينها «جاطات» الارز المفلفل المغطى باللحم والصنوبر ٠

ولعل تعدد انواع الطبخات في المناسبات الاحتفالية هو من قبيل الكرم الزائد ولاظهار أن المرأة الفلسطينية الشمالية طباخة ماهرة او أن خصب الارض جعل اهل هذه المنطقة يجودون ويشكلون في اصناف طعامهم ٠ لذا نرى الضيف يأكل كثيرا فالاصناف الكثيرة الشهية تغريه بأن يأكل ، ومهما كان اكل الضيوف فان الاكل يبقى منه الشيء الكثير الذي يوزع على الجيران والاقارب والاصحاب ، ومثلنا يقول : « ان خلص الزاد من شراهة الضيوف وان خلص الخبز من بخل المعزب » ٠

ويدلل الاخصائيون على رأيهم الى ان نظام الاكل وعاداته يستند الى جذور عميقة في نفوس البشر حتى

انه يمكن القول(٢) انه لا توجد ناحية من نواحي الحياة اقل مرونة او اكثر جمودا من ناحية الغذاء الشعبي .

أن الوجبة الرئيسية في طعام فلاحنا في شمال فلسطين هي وجبة العشاء لا الغداء كما هو معروف الان فالطبخة الرئيسية تحضر للعشاء وخلال النهار يتناول الفلاح النواشف كاللبن والبيض والزيت والسمن والعسل ، او في موسم الفواكه التين والعنب والصبر وفي الصباح تسمى هذه الوجبة «كسرة سفره» اي يكتفون بالقليل من الطعام كالزيت والزعتر والبيض والجبنة واللبن واللبنة وغير ذلك من الطعام الخفيف



وقد تقتصر كسرة السفرة بان ياخذ فلاحنا رغيفه في موسم التين والصبر تحت ابطه ويذهب الى الكرم ياكل التين ويقشر الصبر حتى يشبع . وقد تكون كسرة السفرة بالخبز الحاف حتى يتسنى له التدخين لانه يحرم على نفسه السيجارة التي يشتاق اليها قبل كسر السفره ، وشرب القهوة .

ووجبة الطعام الرئيسية هي العشاء التي غالبا ما تحتوي على الخضار واللحمة والارز او السميده واللبن او الكبة او السمك الذي يكثر كثيرا في الشمال اذ هناك مصائده الكثيرة المنتشرة في الساحل الفلسطيني وبحيرة طبريا .

ولعل السبب في جعل الطبخة الرئيسية هي للعشاء يعود الى ان فلاحنا يبقى يشتغل في حقله طوال النهار بالزراعة او الحصاد او التعشيب او السراحة بالماشية ولا يرجع الى بيته الا في المساء ، لذا نرى المرأة الشمالية تعد الوجبة الرئيسية في المساء حتى تعوض زوجها ما فقده من طاقة اثناء عمله المضني في الحقل . او بسبب انه ليس عند المرأة الشمالية الوقت الكافي لتجهيز الطعام اثناء النهار لانها تشارك زوجها

(٢) التغذية ومشكلاتها في الدول النامية ــ مجلة الفكر المعاصر / القاهرة : عدد ٤١ ص ١١٢ . « ويصا صالح » .

فتعشب وتغمر ما يحصده وتحطب(٣) . أو لأنها تعتبر أن البركة في اللمة ففي المساء يجتمع شمل العائلة حول مائدة واحدة غنية بالمواد الغذائية . والاعتقاد الشعبي ان البركة يمكن أن تكون في واحد من ابناء العائلة فغيابه معناه ان البركة قد تغيب عن السفرة بغيابه ، فالبركة كما يقولون : «في اللمة» .

ومن دراستي الميدانية للاغذية الشعبية في شمال فلسطين لاحظت ان معظم الاكلات الشعبية يدخلها البصل والثوم وخاصة الاكلات التي تعتمد على الخضار . فكلما زادت كمية البصل زاد الطعام ولذ مذاقا ، فالمغربية مثلا تلذ مذاقا كلما زادت كمية البصل والحمص الى جانب اللحم ، وكذلك الكبة والمسخن(٤) والطباخة الشعبية لا تستعمل المكاييل الخاصة بل تستعمل القمص(٥) والعرام(٦) واللهوه والحفنة(٧) والرشة « رشة فلفل » أو ملح .

العادات والمعتقدات الشعبية المتعلقة بالاكل في شمال فلسطين :

في الصفحات القليلة السابقة كنت قد سلطت بعض الاضواء على عادات وتقاليد الاكل في شمال فلسطين كالاكل الجماعي اذ لا يصح أن ياكل افراد العائله واحدا واحدا بل ينتظرون بعضهم حتي يجتمعون ، ولعل ذلك يعود الى اعتقادهم كما قلت سابقا ان البركة في احدهم والبركة في اللمة (الاجتماع) .

ويبدأون طعامهم بالبسملة « بسم الله الرحمن الرحيم ، سبحان من قسم الارزاق ولا ينسى من فضله احد » . وينهونه بالحمد لله فيقولون « الحمد لله الذي اطعمنا فاشبعنا واسقانا فأروانا » . والاكل باليد اليمنى اذ لا يصح أن ياكل احدهم او يتناول طعامه باليد اليسرى اذ يعتقدون انه من الحرام تناول الطعام باليد اليسرى وينهرون اولادهم الصغار اذا اخطأوا وتناولوا طعامهم باليد اليسرى ولعل ذلك يعود الى

---

(٣) تقطع الحطب وتجعله على شكل حزم تحمله على رأسها من الجبل الى البيت لتعد الوقود لطهي الطعام واعداد القهوة السادة على بقية النار (الجمر) .

(٤) سيرد وصف لهذه الاكلات في باب (الاكلات الشعبية) التي تعتمد على مادة الطحين – كتاب الاغذية الشعبية في شمال فلسطين لكاتب المقال) .

(٥) القمص : ما يملأ اليد مطبقة الاصابع ،

(٦) اللهوه والعرام : يساويان ما يملأ راحة اليد .

(٧) الحفنة : ما يملأ اليدين مجتمعتين .

التأثير الديني فيهم فان الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل بالشمال(٨) .

ومن آداب الطعام في الوجدان الشعبي الفلسطيني انه لا يجوز الاكل الا مما يلي من الطعام (من الامام) ولا يتعداه الى الطعام الذي امام جاره ولعل ذلك راجع الى الاقتداء بقول الرسول الكريم الذي قال : عن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا اسم الله وليأكل كل مما يليه رواه البخاري . ولا حاجة للاكل ان يمد يده الى صحن غيره فالصحون الكثيرة المنتشرة والمملوءة بشتى انواع الطعام تغنيه عن ذلك .

ويتربع الجميع (يجلسون متربعين) امام مائدة الطعام ويعلمون اطفالهم منذ الصغر على هذه العادة اذ لا يجوز ان يجلس الآكل القرفصاء امام الطعام ولا يجوز أن يجلس واحدهم معتليا عن الطعام - اي في جلسة اعلى من الطعام - كان يجلس احدهم على كرسي والطعام على الارض او على طبلية منخفضة عن الكرسي ، والمألوف ان يجلس الآكلون متربعين حول المائدة على فراش مفروش على الارض .

ومن الاداب المراعاة على الطعام أن لا يطرح الاتي فجأة السلام على الجالسين حول المائدة فالمثل يقول : « لا سلام على طعام » فالسلام في المجتمع الفلسطيني يعني المصافحة والمعانقة احيانا ان كان الزائر ضيفا عزيزا ، وقد تكون الايدي ملوثة بالطعام والفم ايضا اثناء الاكل .

والزائر الذي يحضر فجأة على الطعام يبادئونه ويقولون له (والله حماتك بتحبك) - ان كانت حية ترزق - وان كانت ميتة يقولون (والله كاينه حماتك تحبك) . ولعلهم يعتبرون الحماة التي تحب زوج ابنتها تحضر وتخبىء له اشهى واطيب المأكولات ولعل ارجاع ذلك الى الحماة هو من قبيل عدم احراج ابنتها التي هي تفعل ذلك خاصة اثناء الخطبة التي كانت تمتد طويلا في الغالب حتى يستطيع العريس من جمع (تحويش) مهر خطيبته كاملا ، لان النقود كانت قليلة في ذلك الوقت مع أن المهور كانت رخيصة .

واذا حضر الزائر في اخر حفلة الطعام فيعتذرون له باسلوب شعبي لطيف فيقولون : (الفضلة للفضيل) او (التالي للغالي) ما في شيء من واجبك سلامة قيمتك .. تفضل على الميسور .

---

(٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اذا اكل احدكم فلياكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فان الشيطان ياكل بشماله ويشرب بشماله).



واذا اعتذر الضيف (المفاجيء) عن المشاركة في الطعام فان الشماليين كغيرهم من سكان فلسطين يصرون ويلحون عليه ان يشاركهم الطعام ومن شدة حبهم للضيف يقولون : (تفضل ما في شيء من قيمتك ، قيمتك كبيرة ، لازم تمالحنا) فيعتذر لانه اكل قبل أن ياتي اليهم فيصرون ويلحون على الممالحة ولشدة ما يلحون عليه يتناول لقمة او لقمتين ويحمد الله قائلا : هذا من شانكو .. فيلحون ويقولون : (عيار الشبعان اربعين لقمة) .

ولعل اصرارهم على الممالحة يعود الى(٩) ان الانسان الذي تمالحه او يمالحك اي يأكل من بيتك او تاكل من بيته طعاما والطعام الفلسطيني لا بد من تمليحه (لا طبخه تستغني عن الملح) فانه وانك تأمن غدره وخيانته وكذلك هو ، فاذا حدث ونادرا ما يحدث ان يخون انسان انسانا مالحه فان الناس يقولون عنه (اخص عليه خاين العيش والملح) . وخاين العيش والملح لا يتخذ صديقا او صاحبا ولا يصاهر ولا يشرك في حل المشاكل

---

(٩) محمد عبد سرحان/السنديانه/حيفا/٨٥ سنة ، محمد خليل سعدية/طبريا ٨٥ سنة .

الاجتماعية في المجتمع الفلسطيني الشمالي . اذ لا يعتد احد برايه ويصبح انسانا هامشيا في مجتمعه . واذا تاخرت المرأة في انجاز الطعام وسكبته حال انتهائها ووضعته على المائدة ساخنا جدا فيقولون (من الغلوية الى الكلوية) اذ يفضلون ان يقدم الطعام ساخنا قليلا ولكن ليس من على النار الى المائدة .

وتدور الممازحات اثناء الاكل خاصة حول الانسان الشره فيقولون عمن ياكل كثيرا (فلان اكله وهر) او (فلان بطوني) . ولآخر (عينك الك بطنك مش الك) لانهم يعتبرون ان العين هي التي تاكل فتغري الآكل بالأكل خاصة من الاكل الشمالي . او يقولون له (بكفيك ، عرق السقف) وكلها عبارات ممازحه لا اكثر .

ومن شدة حبهم بالأكل فانهم يشبهون الناس الطيبين في مجتمعهم بأشهى انواع الطعام لديهم : السمن والعسل فيشبهون اتفاق الحبيبين او الشخصين المتفقين (بالسمن والعسل) ويقولون عن فلان الطيب القلب (بنشرب مع الميه العكره) وفلان (مثل قطعة السكر مطرح ما تخمشها حلوه) .

واذا استاءوا من احدهم فانهم يشبهونه باردأ الأكلات لديهم كالفجل اذا كبر (كوخ) فيقولون عن فلان (مثل الفجل كل ما كبر كل ما رخص ثمنه) او (مثل لحم الجمال كل ما كبر رخص لحمه) .

وفي القرى الشمالية من فلسطين ليس هناك من يملك خضارا او فاكهة وغيره لا يملك فالذي لا يملك في القرية شيئا يملك كل منتجات القرية ، فقد حدثني جدي(١٠) : انه كان في بستاننا احدى عشرة تينة معمره الى جانب الرمان فكنت لا املك منها اكثر مما يملك الاخرون ، فالذي ليس عنده تين يهدى له التين، وحتى انه كان يصل الامر بهم الى ان الواحد منهم والذي يريد زيارة اقربائه في المدينة يقول (يا ابو فلان التينة الفلانية احميها لي فاني اريد زيارة قريبي فلان .. وفعلا كنت وكان غيري نحمي ويحرم علينا تحويش التينه كذا يوم حتى يحوشها من طلب تحويشها . وكذلك يقال عن الرمان والبرتقال وكافة الخضروات الاخرى التي تنتجها القرية .

واذا اراد احدهم زراعة شيء كالخضروات وغيرها فانه يقول عند زراعتها : (اللهم اطعمنا تنطعم) او

(١٠) زامل ابراهيم حجاب / الياجور / حيفا ٨٠ سنة .

(اللهم تطعمنا ونطعم منك) وفعلا كانت أول تحويشه (جني) تفرق على الجيران والاقارب والمحبين ٠

الاكلات الاحتفالية في شمال فلسطين :

لعل اهم الاكلات الاحتفالية في شمال فلسطين هي الاكلات التي تقدم للضيوف وتتفنن المرأة الفلسطينية في فرش غرفة الضيوف بشتى انواع الصحون المملوؤة بالطعام الشهي ٠

وكما قلت سالفا ان الحفلة الرئيسية حتى للضيوف تكون على العشاء والسبب في ذلك هو لكي تتاح لجميع اصدقاء واقارب الضيف مشاركته في تناول طعام العشاء اذ يكونون جميعا في بيوتهم عند الغروب ٠

أن لكل عائلة في شمال فلسطين مضافة او اكثر والضيف يحل ضيفا على العائلة او على رئيس الحمولة ويسمى المضيف (معزب) او محلي ٠ وحال وصول الضيف تذبح الذبائح وتغير معاميل القهوة اذ من العيب ان يشرب الضيف من القهوة السادة القديمة والتي اعدت لغيره ولا يقتصر اكرام الضيف وحده بل يتعداه الى فرسه او ركوبته واكرام الضيف من الصفات التي لا يمكن ان يتخلى عنها انسان في الشمال الفلسطيني حتى وفي فلسطين كلها وامثالنا تدل على ذلك (اللي اكلته راح واللي اطعمته فاح) ، (يا ضيفنا اللـه والنبي ايحيك) ، (اللقم بترد النقم) ، (اللقمة اللي في ثمه مش اله) ، (اعزم واجزم والاكل نصيب) ٠ ويعزم المعزب (المضيف) اقاربه من الحمولة وبعض زعماء الحمايل الاخرى من اصدقائهواصدقاء ضيفه ، فيأتون للسلام على الضيف ودعوته (عزومته) ٠

ولا يتخلف احد من المدعوين لانهم يعتبرون ان العزومه الزام ، والا اعتبرت تهربا من دعوة الضيف وفي امثالهم ما يدل على ذلك : (اللي بعزمك بلزمك) ، (واللي بعزمك كبر واجبه عليك) وليس للضيف قبول عزومة احد الاقارب والاصدقاء لان الضيف كما في تقاليدنا اسير لمحلي فيستأذنون من المعزب بان فلان (الضيف) سيكون ضيفهم وكثيرا ما تحدث المشادات الكلامية بين العازمين هذا يريد الضيف وذاك يريده وكثيرا ما يحدث ان المدعويين الذين جاءوا للسلام على الضيف لا يضعون ايديهم في الطعام قبل اخذ الوعد من المعزب بانه سيكون عشاء ضيفه عند احدهم وغالبا ما تكون الاولوية للشيخ (رئيس الحمولة) او اقرب الاقرباء للضيف ويدور للضيف الدور كل ليلة عند واحد ٠

ولا يفوتني في هذا المقام ان اؤكد ان الضيف يحتفى به في كل اوقات النهار وتقدم له وجبات الطعام في مواعيدها ٠ ففي الصباح تقدم له

الجبنة البيضاء المخزونة ، واللبن والزبدة والططلي والحليب والبيض المقلي والزيت والزعتر وشتى انواع المقالي وفي الغداء الخضروات المطبوخة والارز واللحوم ، ولكن ليس بشكل احتفالي (طبخة العيله) ٠

واكرام الضيف في المجتمع الفلسطيني الزامي فلا يتهرب احد منه مهما كانت حالته المادية ، ويا ويل من يتهرب من اكرام ضيفه وهذه قصة رواها لي (علي العبد الله الغريفات/الياجور/وعمره ٩٠ سنة انقلها بلهجتها العامية كما رواها كوثيقة تدل على معاقبة من يتهرب من اكرام ضيفه) ٠

القصة :

٠٠ كان (عساف) رجل بخيل من عبلين قضاء شفا عمرو ، وكان لا يطعم الساير حنك ، بقى يوم يا سيدنا قام احد الرجال خرف(١١) (اعقيله الحاسي) شيخ الهنادي وقال له : هذا عساف عمره ما اطعم للساير حنك ٠ قال عقيله : هاتم(١٢) لي ست خياله واركبم انا واياكم على عساف ٠ وفي الصباح تصبحون بخير، ركبم وراحوا على عبلين دقم ع الباب قالت له امرأته : يا عساف اجوك خيل ٠ قال افتحي لي باب الشباك (بدو ينهزم من ضيوفه) فرآه عقيله وقال له : اخص يا ملعون الوالدين فوت جوه فرش ٠٠ حط الفراش لباد ٠٠ وفوق اللباد فرشات صوف ٠٠وقطيفه (سجاده) ٠ وفاتم جوه وقعد عقيله الحاسي في الصدر على الفراش وفاتت الرجال ربعه وقعدت في الديوان ٠

قال له : يا عساف تعال لهان ، اسمع ٠ روح وتعال يا عساف وثقال ما نحب الثقيله يا عساف ،اسحنين هويدلي(١٣) يا عساف روح وتعال يا عساف ٠٠ ثقال وما نحب الثقيله يا عساف ، خيط ٠٠ خيطين من تتن ما يحرف (ينطفى) يا عساف ، روح وتعال يا عساف ثقال وما نحب الثقيلة يا عساف ٠ ذبيحة نصابه للشجر يا عساف ، روح وتعال يا عساف ، دفينه ما ينطها القط يا عساف ٠طافور(١٤) طافورين من الفكه (قربة خض اللبن) يا عساف ٠ سيخه يا عساف وديرو ع المنسف يا عساف ، روح وتعال يا عساف ٠ عليق مد مد يا عساف ، وعليق عبيان (حصان عقيله) علبه(١٥) يا عساف ، واصحك تعيد الهزيمه يا عساف،اكرم وان انهزمت

---

(١١) خرف : حكى ٠

(١٢) هاتم : هاتوا ٠

(١٣) اسحنين هويدلي : صحنين هيطليه ٠

(١٤) الطافور : اناء من خشب يستعمل لصب السمنه البلدية على المنسف ٠

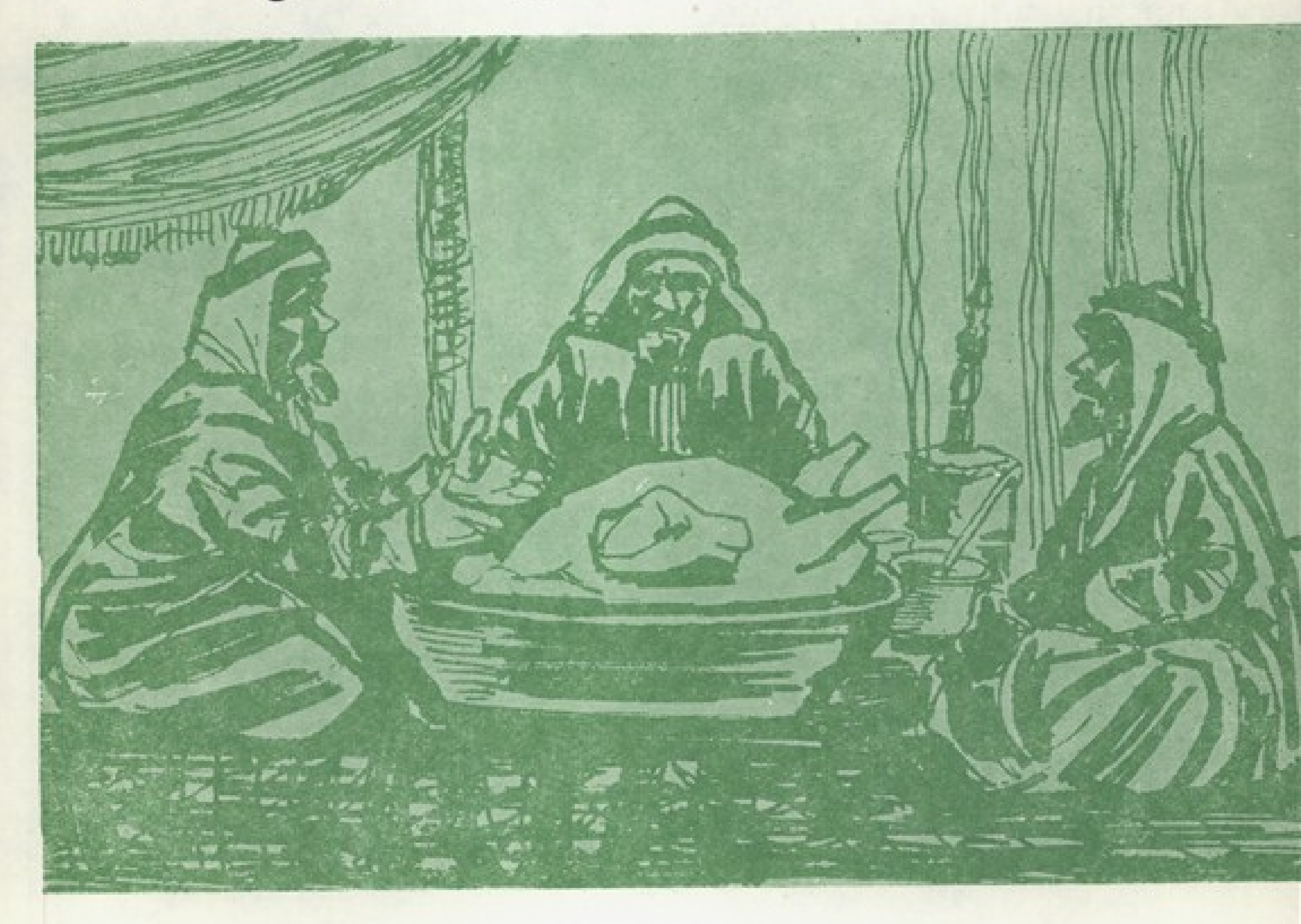
(١٥) علبه : مكيال يساوي ٦ صاعات والصاع يعادل ٨ كغم ٠

بقص عمرك يا عساف ، بها الشلفه يا عساف ٠

ومن الاكلات الاحتفالية اكـلات العرس ، واكلات العرس في شمال فلسطين لا تقتصر على اللحم والارز المفلفل واللبن (المنسف) بل تتعداه الى اصناف شتى من جميع انـواع الخضروات الخضراء والمجففة ٠واكلات الاعراس تشبه الى حد كبير ولكـن بشكل اوسع واضخم اكلات الاحتفال بالضيوف ٠

والبدو في شمال فلسطين يختصون باكلة شعبية خاصة بهم يقدمونهـا في اعراسهم وحتى لضيوفهم يسمونها (امسروله) وهي عبارة عن بحتـه (حليب ورز) يصب في قاع اللقن ويصب عليها السمن ثم توضع فوقها طبقة من خبز الشراك (خبز الصاج) وفوقها يوضع الارز المفلفل ويوضع فوقه اللحم المسلوق وهو عبارة عن خاروف ينظف رأسه ويوضـع في وسط المنسف ولا يحق لأي انسان من الضيوف ان يبدأ بتناول شيء من الرأس قبل أن يبـدأ شـيخ العشيرة او كبير الضيوف وكـما يقولون (الراس للقواس) ٠

يشبع الطعام (المسروله) بالسمن البلدي واللبن المطبوخ « لبن امه » تؤكل هذه الاكله الشعبية باليـد اليمنى بالخمسة (الاصابع الخمسة)



وعيب أن تستعمل اليد اليسرى • يقول المعزب باللهجة البـــدوية : (تفضلم على الميسور) • فـــيردون : (ميسور غانم او غانمين) •

واكلات الماتم تعتبر من الاكلات الاحتفالية اذ في اول خميس لوفـاة الانسان الشمالي تذبح الذبائــــح ويفلفل الارز وتطبخ اصناف شتى من الطعام كما في الطبخات التي تقدم في الاعراس والضيوف ويدعى لتناول هذا الطعام الفقراء من اهل القرية وشيخ الجامع والمؤذن • وبعـــــد مرور اربعين يوما على وفاة الميت يعمل له حفل تابين يقدم فيه نفس الطعام الذي قدم في خميسه ، ولكن هـذه المره يعزم وجهاء البلد ووجهاء القرى المجاورة لحضور حفل التابين •

واكـــلات الاحتفـــالات الدينية كالنصف من شعبان تقدم فيهــــــا (حلاوة النص(١٧)) وهي عبارة عن حلويات مصنوعة من القرع الاصفر ومطعمة بالصنوبر • او كالمولـــــد النبوي الشريف الذي تقرأ فيه قصة المولد يقدم فيهـــا الطعام كـــما في الحـــفلات السابقة مــع الحلويات المختلفة كالملبس والحلقوم والتوفـي التي عادة توزع بعد الانتهاء من قراءة قصـــة المولد النبـــوي الشريف مع شعيرة المولد المخلوطه بالملح والميرميه•

واكلات الاحتفال بالمولود الجديد خاصة الذكر تتعدى طعام الام الـــذي يكون عادة من الشـــــوربه واللحوم والدجاج وشراب القينــــر (القرفة بالجوز) الذي يقدم للمهنئين فـــي فناجين كبيرة • و (الخويه) وهـــي عبـــارة عــن خبـز مقلي بالسـمن ومضاف اليه القينر والمكسرات مـن الجوز واللوز المقلي ويؤكل بالملاعق هذا الى جانب الحلويات كالحلقـــوم الذي يوزع يوم طهوره •

ويوم تسنين الطفل (بروز اول سن له) تسلق الام القمح وتضيف له حب القريش(١٨) والسكر ويوزع على المهنئين الذين يحضرون ويوزع على الجيران بصحون عادية ومـــــن العيب أن يعاد الصحن فارغا فاما ان توضع فيه النقود او حلويات اخرى •

هذه بعض الملامح الرئيسية حول التقاليد والمعتقدات التي تتعلق بالاكل الشعبي في شمال فلسطين ، وارجـــو ان اكون قد وفقت في تسليط الضوء

---

(١٦) المرحومان علي سحتوت / طبريا ، د• احمد الكردي / طبريا •

(١٧) سيمر وصف لها في باب الحلويات الشعبية من كتاب الاغذية الشعبية في شمال فلسطين للكاتب •

(١٨) القريش : نوع من الحلويات صغيرة الشكل يلبس على حب اليانسون •

على بعض جوانب مهمة من هـــذه التقاليد والمعتقدات والله اسال ان اكون قد مهدت الطريق للباحثـــين والمهتمين بشؤون تراثنا الفلسطيني وخاصة الاكل الشعبي .

امثال شعبية تتعلق بالاكل الشعبي :

١ ـ اللقم بترد النقم .

٢ ـ لقمة جاري ما طفت ناري .

٣ ـ اللقمة اللي في ثمه مش اله .

٤ ـ اللقمة اللي بثمـــك بتعرفش لمين بتصير .

٥ ـ كل خبز وزيت وناطح الحيط

٦ ـ كل خبزك بالدين ولا تشتغل ليوم الاثنين

٧ ـ كل سنه بصـــل توكل بـــاقي السنين عسل

٨ ـ كل قبل ما تجوع وبطل قبل ما تشبع

٩ ـ كل ودوم ولا توكل وتصوم

١٠ـ كل قليه واشرب ميه وان جعت حقك علي

١١ـ كل مع الكافر ولا توكل مـــع طويل الاظافر

١٢ـ اللي اكلته راح واللي اطعمته فاح

١٣ـ لحـــم الهـــرش بسواش ولا قرش

١٤ـ مثل السمن والعسل

١٥ـ مثل السكر مطرح ما تخشمه حلو

١٦ـ من الغلوه للكلوه

١٧ـ ان كنت على بير بدك تدبير

١٨ـ زفر ولو انه معلاق

١٩ـ خبز الشعير ماكول مذموم

٢٠ـ الخروب خشب كثير وحلـــوه قليل

٢١ـ لا سلام على طعام

٢٢ـ يا ضيفنا الله والنبي يحييك

٢٣ـ اللي بعزمك بلزمك

٢٤ـ يا مسترخص اللحمه عند المرقه تندم

٢٥ـ اللي بعزمك كبر واجبه عليك

٢٦ـ هديه المرعوط بلوط

٢٧ـ لا طبخه تستغني عن الملح

٢٨ـ الخبز والزيت عمود البيت

٢٩ـ مثل الباذنجان مثل ما ردت تعمله

٣٠ـ عينك الك بطنك مش الك

٣١ـ عرق السقف

٣٢ـ اعزم واجزم والاكل نصيب

٣٣ـ خاين العيش والملح

٣٤ـ فلان اكله وهر

٣٥ـ لا توكل الا وانت جوعان ولا تشرب الا وانت عطشان ولا تنم الا وانت نعسان ولا تدخل بيت الظنان ولا توكل من خبـــز المنان .

صلح عشائري في صفد

محمود العابدي

في الثالث من شهر حزيران سنة ١٩٣٩ كان نور الدين بن امين محمد الخضرا (ابو هاشم الخضرا) من اهالي صفد يحرس مزرعة ابيه في موقع العمره من اراضي الخيط بقضاء صفد ، وكان ابوه المعروف بابي هاشم مسجونا بسبب استعداد الفلسطينيين لاسترجاع حقوقهم من المستعمر الانكليزي والمغتصب الصهيوني بقوة السلاح ، عندما وجد في بيته مسدس حكم عليه بالسجن عشر سنوات وقد شعر نور الدين في الليل بحركة جماعة يحصدون القمح من مزرعته سرقه ، فركب فرسه واغار عليهم ولكن احد اللصوص انثنى عليه وضربه بعصا على رأسه فسقط على الارض مغشيا عليه واحضر في اليوم التالي الى مستشفى الحكومة في صفد ، وبقي فاقد الوعي يعاني سكرات الموت اسبوعا كاملا وفي صباح العاشر من حزيران قضى نحبه ولشدة وقع المصيبة على والده استولى عليه الذهول وتجاه الحاح ذوي الكلمة سمحت سلطات الانتداب لوالده أن يحضر جنازته على ان يعود بعدها مباشرة الى الحبس ٠

لم يكن لابي هاشم ولد ذكر سوى نور الدين المقتول هذا وقد عزت وفاته على كل من سمع بها وقد نجحت المساعي الى العفو عنه واخراجه من السجن فيما بعد ٠

ولدى التحري ظهر أن اللصوص الثلاثة الذين كانوا يسرقون القمح هم من عرب اللهيب الذين يضربون خيامهم شرقي الشريعة حوالي جسر بنات يعقوب ضمن الحدود السورية وهم من عشيرة اشتهرت بالشقاوة والبطش حتى اصبح كل اهل الديرة يحسبون لهم كل حساب ٠

وعائلة الخضرا في صفد من اصل مغربي ، واصبحت لهم شوكة من ايام الحكم العثماني وهم اهل فلاحة ولهم علاقات كبيرة ومصالح واسعة مع سكان قرى صفد وابناء العشائر المجاورة وبات من المحتم أن تثأر هذه العائلة لقتيلها واذا حصل ذلك فلا بد وان تنشب حروب بين الطرفين العنيدين ، لا تلبث أن تمتد الى حلفائهما بين الخضرا واللهيب سيطير شررها ويمتد لهيبها وقد تصل الى حد يصعب معه رأب الصدع ورتق الفتق .

لذلك تنادى عقلاء البلاد من وجوه القرى والعشائر لحسم هذا الخلاف بموجب العادات العشائرية التي ما زال مفعولها واضحا مؤثرا في مثل هذا الوسط النصف بدوي ، وقد عقدت عدة اجتماعات تمهيدية كللت بالنجاح ، نظرا لمساعي الوجوه



والاعيان من ذوي الميول الخيرة ، وتعين يوم الخميس الواقع في ٢١ اذار - سنة ١٩٤٠ الموافق صفر سنة ١٣٥٩ هجرية لاجراء الصلح على الطريقة العشائرية .

وفي اليوم المعين اخذت هذه الوفود تصل تباعا الى ديوان ابي هاشم الخضرا :

١ - عشائر قرى المغاربة وعلى رأسهم الامير صلاح بن عبدالله باشا ، نجل الامير عبد القادر الجزائري والسيد موسى الحاج حسين الكبير والسيد عبد الرحمن المزاري من قرية ديشوم والسيد سعيد عمر من ماروس والسيد محمود الحاج طاهر من التليل ومحمد سليم الصالح من العموقة وزعل الفارس شيخ عرب الويسية من سوريا .

٢ - عشيرة الزنغرية وشيخهم حسن العلي محمد البدوي .

٣ - عشائر كراد الخيط ورئيسهم حامد .

٤ - عشائر السمكية وشيخها حامد رجا الحمزات .

٥ - عشائر السياد وشيخهم حسن العوض .

٦ - عشائر الغوير وشيخها الخطيب السميري .



٧ ـ عشائر التلاوي وشيخها صالح المحمد ٠

٨ ـ عرب اللهيب وشيخها حسين محمد العلي ٠

٩ ـ قرية فرعم وشيخها الحاج سليم عثمان ٠

١٠ ـ الجاعونة وشيخها عوض أبو حيدان ٠

١١ ـ القباعة وشيخها علي المصطفى ٠

ثم جاء من الانكليز نائب حاكم لواء الجليل المستر كويفيلد (Coifeld) ومساعد حاكم لواء الجليل في صفد الميستر ريفز (Reeves) وضابط بوليس صفد المستر ردلي (Ridly) والمستر اوت لوك (Outlock) . وشاويش التحرى المستر ايفنس (Evens) واثنان من ضباط الفرسان الانكليز منهما المستر دندى (Dendy)

اما اهل البلد فقد بدأوا يتوافدون ـ كل عائلة على حدة من الساعة العاشرة وكان كلما وصل رجال عائلة اخذوا امكنتهم في دور الخضرا المحيطة بدار ابي هاشم حتى امتلأت كلها بالوافدين ، ثم حضر رجال الطائفة المسيحية وعلى رأسهم كاهن الطائفة الخوري حنا الحرفوش ، وحضر من طبرية الوجيه صدقي افندي الطبري ٠

بدء عملية الصلح :

كان في الغرفة الانكليز الستة وصدقي افندي الطبري والشيخ محمد سعد الدين وعلي رضا بك النحوري والحاج صالح قدورة والحاج عبد القادر الاسدي و السيد محمد سليم شما وعبد الغني افندي النحوي والحاج نايف الخضرا والسيد يوسف الصباغ وكيل قنصل فرنسا في الجليل ـ ومركزه طبرية ـ والدكتور مغريتش الارمني والحاج سليم عثمان وصاحب البيت ابو هاشم الخضرا ، ذكرتهم حسب ترتيب جلوسهم وكان موضعي بين الانكليز والعرب حتى اقوم بالترجمة عند اللزوم ٠

ثم دخل السيد موسى الحاج حسين يحمل عصا طولها ثلاثة امتار تقريبا ومعه ملاءة بيضاء يبلغ طولها المترين وعرضها ثلاثة ارباع المتر وتبعه نخبة من وجوه القرى ومشايخ العشائر الذين سبق ذكرهم ، ثم نهض الامير صلاح الجزائري وخطب باسم وفود الجاهة وطلب من ال الخضرا الكرام قبول وجاهة هذه الوفود فتسمح بدم فتاها المغدور نور الدين الخضرا ، فوقف ابو هاشم والد المغدور نور الدين وقبل الوجاهة وسامح بدم ولده المغدور ووحيده العزيز بلا قيد ولا شرط جريا على عادة العرب الذين يعفون عن قاتلي ابنائهم ، اذا اعترف الجاني والتجأ اليهم ، طالبا العفو والسماح ٠ وكانت ساعة رهيبة للغاية واشتدت المرارة بالوالد الثاكل ، فنزع صورتين



لولده كانتا معلقتين وعرضهما على الحضور وقد تأثر الجميع بهذا الموقف ولا سيما الانكليز ، وتولى السيد الصباغ شرح هذا الموقف للضيوف الاجانب .

ثم نهض السيد محمد سليم شما ووقف امام السيد موسى الحاج حسين وامسكا بالعصا وتقدما الى ال الخضرا وطلبا من كل واحد منهم أن يعقد الراية اي أن يعقد قطعة القماش



بيده ويلقنه الشيخان العبارة التقليدية « عقدنا الراية ودفنا السـاية على الغائب والحاضر » ،عقدها خمسة من وجوه الخضرا واكمل العقدة السادسة والد المغدور واكتفوا بذلك متجاوزين على العادة التي تقضي بان يعقدها كل ذكر راشد من عشيرة المغدور ليكون قد تنازل عن حقه عند المطرودين بدم قريبه ٠

وبعد ذلك اختار كل وفد ممثلا عنه واختارت كل اسرة من اسـر صفد الحاضرة لهذه الجاهة ممثلا عنها فحمل هؤلاء الممثلون الراية المعقودة ونقلوها الى قرية بيريا حيـث كان يقيم وينزل افراد عشيرة اللهيب ، وهناك وضعت الراية على رؤوسـهم واحضروهم الى صفد مسافة ثلاثـة كيلو مترات وهم تحت امانة الراية المعقودة الى الاجتماع في دار الخضرا ٠

خرجنا من داخل الدار الى الساحة الخارجية حيث كـان ال الخضرا مصطفين في صف طويل مقابل صف مماثل من الاسر الصفدية ومن الوفود القادمة لهذه الغاية وهنا وصل اللهيب يحملون الراية مطأطئي الـرؤوس وصافحوا كـل فرد من ال الخضرا وبعض وجوه الحمايل من صفد ٠

وبعد الانتهاء مـن اجراء هذه المراسيم انتقـل الجميع الى دار المرحوم الشيخ طه عبـد الحميـد المجاورة لبيت الخضرا وفي الشـرق من سرايا الحكومة التركية حيث مد السماط على الطريقة العربية وكـان الطعام يتألف من خرفـان محشية وكوسا محشي وكوسا بلبن وبطاطا محشية وفول اخضر وكل ذلك مـع الارز المفلفل ٠ وقد استرعى انظار الحاضرين اقبال الانكليز على الاكثار من تناول هذا الطعام العربي الدسم وانفض الاجتماع في الثالثة والنصف٠

وهكـذا زال التوتـر وتوقف التخوف من بين متنازعين قويين ٠ وقد يعجز القانون المدني في الحصول على مثل هذه النتائج السريعة ٠

سجلت هذا المحضر حالما عدت الى بيتي الذي لا يبعد اكثر من مئتي متر من بيت الخضرا ٠

الحركة الفولكلورية

في القطر العربي السوري

الدكتور حسن حمامي

تغوص جذور الفنون والعادات والتقاليد الشعبية السورية بعيدا في تربة التاريخ ، وتتشكل من مصادر عديدة متباينة يمكن ردها الى تأثير الحياة القديمة لشعوب البحر الابيض المتوسط ، وخاصة الشعوب التي قطنت الثغور السورية ، والى التفاعل الحضاري مع الاقوام التي احتك بها العرب السوريون بسبب التجارة والفتوحات والتجاور الناجم عن موقع سورية الجغرافي في ملتقى ثلاث قارات هي : آسيا وأوربا وافريقيا ، وكذلك الى الحياة العربية خاصة ، واخيرا الى المؤثرات الدينية منذ ازمنة بعيدة ، هذه المصادر العديدة جعلت الثقافة العربية السورية (الثقافة بمفهومها الواسع) قديمة وعريقة واصيلة .

يكفي المرء أن يتجول في اسواق مدن الشام ليجد نفسه في معرض حي لنتاج عبقرية ابناء الشعوب التي وفدت على القطر فثمة ازياء زاهية متنوعة ، وفنون واداب وصناعات وتقنيات غنية راقية ، تجد كل ذلك في اسواق الصياغ والخراطين والخزافين والحدادين ولدى صناع الحفر والنقش والتطعيم والتكفيت والتطريز .. الخ .. ولم تعدم البلاد كتابا يعكفون على دراسة هذا التراث الحضاري العريق في جميع مظاهره ، يظهر ذلك من خلال كتابات محمد سعيد القاسمي في مؤلفة « قاموس الصناعات الشامية » حيث تناول فيه على وجه الحصر التحدث عن (٣٦٠) صنعة من الصناعات الشامية المختلفة ، ومثله عبد المجيد ابو تراب الذي تناول وصف الصناعات التقليدية الدمشقية بادواتها وطرائفها المختلفة ، والاستاذ عبد القادر عياش الذي اختص بدراساته الكثيرة المتنوعة لكافة مظاهر الثقافة من حوض الفرات ، وقس عليه الاستاذ كامل اسماعيل في رسالته الجامعية التي تبحثعن الاثنوغرافيةوالفولكلور في جبال سورية الغربية ، وفي دراسته

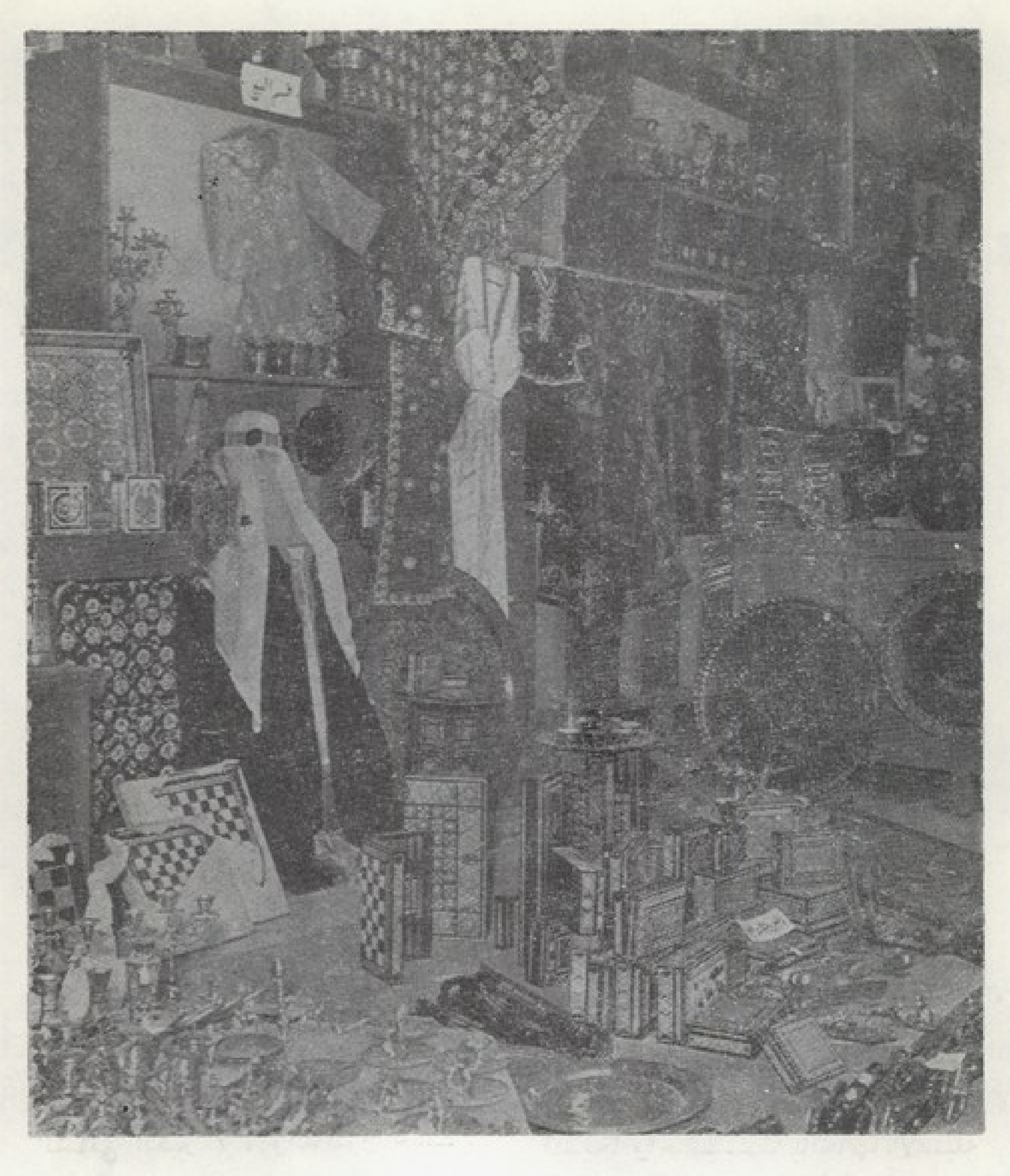


حول (العادات والتقاليد الاجتماعية) في المنطقة نفسها ، ومحمد ناجح جابر في دراسته القيمة عن الصناعات اليدوية في حماه ، وخالد معاز في دراساته الفولكلورية عن بلاد الشام عامة ، وجبرائيل سعادة في كتابه

عن اللاذقية ، ومنير كمال في كتبه « فنون وصناعات دمشقية » و « الحمامات الدمشقية » و « رمضان في دمشق » ، حيث تحدث في الكتابين الاخيرين عن عادات الدمشقيين وتقاليدهم ، وكذلك فخري البارودي في مذكراته الخاصة عن العاب الصغار والكبار ولهوهم وسهراتهم ونعمان القساطلي في كتابه « محاسن الشام » او «الروضة الغناء في دمشق الفيحاء»، والعالم الموسوعي محمد كرد علي في كتابه « خطط الشام » حيث تناول في الجزء السادس منه عادات السوريين وتقاليدهم والدكتور خالد شاتيلا في رسالته عن تقاليد الزواج عند المسلمين السوريين ، والدكتور كاظم داغستاني الذي تحدث في رسالته الجامعية عن بنية الاسرة المسلمة في سورية ، وفي كتابيه (عاشها كلها) و (حكاية البيت الشامي الكبير) ، والدكتور حسن الحمامي في كتابه « الازياء الشعبية وتقاليدها في القطر العربي السوري » حيث ارخ للازياء ووصف واقعها في كل من السهل والبوادي والمدن ·

ويوسف موسى خنشت في كتابه « طرائف الامس غرائب اليوم » الذي تحدث فيه عن حياة اهل النبك في افراحهم واتراحهم ومواسمهم واعيادهم ·· في جدهم وعبثهم ·· ونسيب الاختيار في كتابه «الفولكلور الغنائي عند العرب » والاستاذ خير الدين الاسدى في موسوعته الحلبية الواسعة ، واحمد بسام ساعي في كتابه « حكايات من اللاذقية » والعالم المتتبع عدنان بن ذريل في دراساته ومؤلفاته الواسعة ولا سيما « رقص القبا والشيخاني » ومعجم رقص السماح ، وتأريخه للحركة الفنية في سورية منذ مائة عام ·· والعالم الاكاديمي سليم الجندي صاحب « تاريخ المعرة » الذي حكى في الجزء الثالث منه عن تقاليد اهلها وفنونهم وادابهم وكذلك سميه الشيخ الشاعر امين الجندي الحمصي الذي جمع اغاني عصره في القرن التاسع عشر وهاله ما عليه الاغنية الشعبية من التردي والاسفاف فقلب كلماتها شعرا فصيحا واحتفظ بالحانها الاصيلة سجلها بديوان خاص اسماه باسمه ولا يزال الديوان يعتبر مرجعا لالحان القرن التاسع عشر ·

وشكرى فلوح الذي جمع امثال حوران وصنفها ودرسها بصورة نمطية على المستوى الاقتصادي



والاجتماعي ثم اراد تأليف كتاب في هذا الموضوع لولا أن عاجلته الوفاة ، والاستاذ نجاة قصاب حسن بجولاته الاذاعية بالادب الشعبي والسيدتان الفة الادلبي في كتاباتها وقصصها عن حياة قدامى الدمشقيين وسهام ترجمان في كتابها « يا مال الشام » حيث تستعرض فيه ايام زمان وعادات وتقاليد قديمة عن حياة اهل الشام والشاميين ٠

ومنشورات مجلة العمران عن الفولكلور بالمحافظات مثل : (مجتمع حماة) للاستاذ عبد الرزاق الاصفر

« العـادات الاجتمـاعية في حمص » للاستاذ محمود السباعي « والحيـاة الاجتماعية في اللاذقية قديما وحديثا» لخالد الشريقي و « الفنون الشعبية في محافظـة السويداء » لسـلمان بدعيش ، والاغاني الشعبية في جبل العرب لرامز محيثاوي (بالاضافـة الى اهتماماته الاذاعية والتلفزة عـن تقاليد الزفاف على مستوى القطـر والوطن العربي) و « العـادات الاجتماعية في محافظة درعا » لعبـد الحميد عبد الرحمن .

و « الفنون في حـوران» لفـوزي الصياصنة و « الفنون الشعبية في حوران » للدكتور حسن الحمامي و « الصناعات التقليدية في حلب » لمحمد عبد المجيد ابو شاله و « الصناعات في ادلب » لحسن نورة و « الحياة الاجتماعية في حلب » لعبد الله يوركي الحلاق و « الصناعات في الجزيرة » لوهيب سراى الدين ، الى غير ذلك من المنشورات .

والمـقالات والبرامج المذاعـة والمتلفزة التي تسجل تطور الحركـة الفولكلورية في كافة انحاء القطـر العربي السوري .

قلت أن دراسـة الفولكلور والتخطيط له كعلم لم يوجد قبل نشوء وزارة الثقافة والارشاد القومي رغم وجود المهتمين والمتتبعين ، حيث جعلت من اولى اهدافها لدى تأسيسها في اواخر الخمسينات صيانة تـراث الشعب وحمايته وتطويره فانشأت **فرقة امية القومية للفنون الشعبية ،** تلا ذلك تأسيس فرقة التلفزيون ثم تأسست لجنة للفنون الشـعبية في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب، ثم ارسلت البعثات الدراسـية الى الدول الاجنبية كايطاليا وفرنسـا والمانيا ، ولدى عودتها اوجدت مديرية خاصة للتراث الشعبي الغاية منهـا جمع التراث الشـعبي ودراسـته وتصنيفه وتطويره ليوضـع تحت تصرف العلماء والادباء والفنانـين والدارسين العرب والاجانب سـعيا وراء تأصيل الطابع القومي في الانتاج الفني والادبي،وانطلق الاختصاصيون لمختلف المحافظات السورية يعملون على تدوين مظاهر التراث الثـقافي وتسجيله وتصويره وجمع المعلومات عنه في القطاعات التالية :

أ ـ مسح مظاهر الحياة الماديـة وقد تناولت بالتـدوين والتصوير كافة اعمال الـزراعة والصناعـة والتجارة وطرق النقل بالاضافة الى مظاهر الطعام والشراب والاثـاث



والكســاء والبناء والحرف اليدوية والصناعات التقليدية على مسـتوى الريف والمدينة ٠٠

ب ـ مســح مظاهـر الحيـاة الاجتماعية ، وقـد تناولـت مختلف العـادات والتقاليـد على الطبيعة

والمتعلقة بدورة حياة الانسان – من المهد الى اللحد – ثم دورة الأيام السنوية حسب التقويمين الهجري والميلادي .

ج – مسح مظاهر الحياة الفكرية : وتناولت بالتدوين كافة مظاهر الادب الشعبي وقصص وامثال واحاجي والغاز وانواع الشعر من الهنهونة الى البكائية ، ومن القصيدة الى الملحمة الكاملة ، اضافة الى كافة العلوم والمعارف والعقائد الشعبية (الخارجة منها عن نطاق النصوص المكتوبة المعترف بها) .

د – الحياة الفنية : كتدوين المظاهر الفنية من رقص وغناء وموسيقا ومسرح ، وقد تأسس بنتيجة تلك الجولات ارشيف خاص يضم :

١ – التسجيلات الصوتية وهي مدونة على اشرطة عادية مسجلة بكلماتها والحانها حسب النوطة الحديثة ومبوبة حسب التقسيم الجغرافي في القطر وقد جعل لكل اغنية في الارشيف ثلاث جذاذات متعلقة – فيش – الاولى للمؤدي والثانية للموضوع والثالثة لنوعية المؤدى .

٢ – قسم التصوير : ويضم كافة مظاهر الحياة المادية والفنية مع مظاهر العادات والتقاليد على المستوين الاثنوغرافي والفولكلوري بالابيض والاسود والالوان ، وهي مرتبة ايضا حسب المحافظات في القطر بالاضافة الى كافة المعلومات والنشاطات عن فرق الفنون الشعبية الخاصة بالهواة من انحاء القطر ويقارب عددها الثلاثين .

٣ – الموسوعة الاتنوغرافية السورية : وتضم جذاذات(Fiches فيش) مرتبة ومبوبة حسب ابجدية الموضوع وتحتوي كل منها على معلومات مختصرة لمختلف المواضيع المتعلقة بالتراث الشعبي مع ذكر المراجع بحيث تعطي صورة موسعة لكافة مظاهر الثقافة العربية السورية ليفيد منها العلماء والادباء والفنانون والدارسون من عرب واجانب .

ودعما لتنشيط الحركة الفولكلورية على المستوى الرسمي والاهلي ، فقد اوجدت مديرية التراث الشعبي بالوزارة مهرجان الفنون الشعبية الدائم بحيث يكون على مستوى القطر وعلى شكل مباريات فنية تتسابق فيه كافة فرق القطر في فنونها وادابها والعابها وازيائها وتقاليدها .. وقد عينت للفرق الفائزة جوائز مالية وعينية واوسمة مختلفة تكون بمثابة معونات وجرايات واسعة بغية تقويتها وتشجيعها لتكون مدربة دوما وعلى اهبة الاستعداد للمشاركة في كل المناسبات الفنية والقومية وللاحتفاظ بهذا التراث والافتخار به والتذكير به بصورة دائمة .

يقام مهرجان الفنون الشعبية مرة في صيف كل عام لمدة اسبوع باحدى المحافظات وقد تم انعقاد المهرجان الاول في عام ١٩٦٩ بدمشق وللمهرجان ثلاثة اوجه ٠

أ ـ مسيرات فنية شعبية يومية تطوف شوارع وساحات المدينة نهارا وهي بموسيقاها واغانيها ورقصاتها وملابسها المميزة ولافتاتها ، تلاقي الاستحسان والتصفيق والترحيب من كل الجماهير العارمة التي تصطف على جانبي الطريق ، ويسبق الموكب عادة سيارات التصوير السينمائي والتلفزيوني ـ لصالح مديرية التراث للسينما والتلفزيون ٠

ب ـ معرض جانبي لعموم الفنون والصناعات الشعبية ويتغير موضوع المعرض بين سنة واخرى فالمعرض الاول بدمشق كان مسابقة للصناعات التقليدية في القطر ، والمعرض الثاني بحلب كان للازياء الشعبية والمعرض الثالث بحلب ايضا كان في تقاليد الفروسية العربية ، والمعرض الرابع باللاذقية كان في الزخارف المنزلية ، ومن المحتمل ان يكون المهرجان الخامس القادم في مدينة حمص وذلك للافادة من مدرج تدمر الاثري على غرار المهرجانات السابقة التي افادت من مسرحي بصرى وجبلة الرومانيين ٠

ج ـ عروض فولكلورية مسائية في الهواء الطلق على احد المسارح الذي يقام خصيصا اما في باحات احدى المدارس الثانوية او على بعض المدرجات الرومانية كمسرحي بصرى وجبلة او مسارح رعاية الشباب او سوق الانتاج ، ولكل محافظة او محافظتين يوم واحد من اسبوع المهرجان تعرضان فيه كافة فنونهما امام الجماهير وبحضور لجنة التحكيم ولكل عضو الحق بالبقاء والاقامة والطعام ومصروف الجيب ثلاثة ايام على نفقة الدولة ٠

تبدأ كل محافظة عرضها بقصيدة زجلية تتعلق بالمحافظة ذات العلاقة ويتغير موضوعها كل عام ، يلي ذلك منوعات محلية موسيقية وغنائية راقصة ، فألعاب شعبية محلية وتمثيلية باللهجة الدارجة يتعلق موضوعها ببعض العادات الحسنة او السيئة الواجب الابتعاد عنها ، واخيرا عرض لنموذج تقليدي للافراح المتعلقة بحياة الانسان كالولادة او الختان او الخطبة او العرس او لعقد الراية وغير ذلك بحيث يختلف الموضوع بين سنة واخرى وذلك حسب توجيهات مسبقة تصدر قبل عدة اشهر عن مديرية التراث الشعبي بالوزارة ٠

وللمحافظات الفائزة جوائز مالية واسعة واوسمة وهدايا تكون بمثابة عون لها على الاستمرار وشراء ما

تحتاج اليه من ازياء وسيوف وغير ذلك .

يفتتح وزير الثقافة مهرجان الفنون الشعبية بقص الشريط الحريري للمعرض وبحضور كافة المسؤولين بالمحافظة وتلقى كلمة الافتتاح التي تقابل بالزغاريد والعاب السيف ومن ثم تبدأ العروض الفولكلورية تباعا طيلة اسبوع كامل، كما يشرف على العروض مدربو فرقة امية القومية ليتمكن هؤلاء من مشاهدة الفنون الشعبية على الطبيعة بغية تأصيل برامجهم المسرحية كما تضع مديرية التراث الشعبي ارشيفها تحت تصرف هؤلاء ليعبوا من منهل الفنون الشعبية الاصيلة لنفس الغرض .

وترشح المحافظات الفائزة للقدوم الى دمشق حيث تقدم عروضها الناجحة في احتفالات رسمية واسعة تقام على مسرح قصر العظم وبحضور الوزراء واعضاء السلك الدبلوماسي وكان من نتيجة ذلك ان دعيت بعض هذه الفرق لتمثيل البلاد في بعض المهرجانات الدولية وحازت اعجاب الجماهير كما نالت الجوائز العالية .

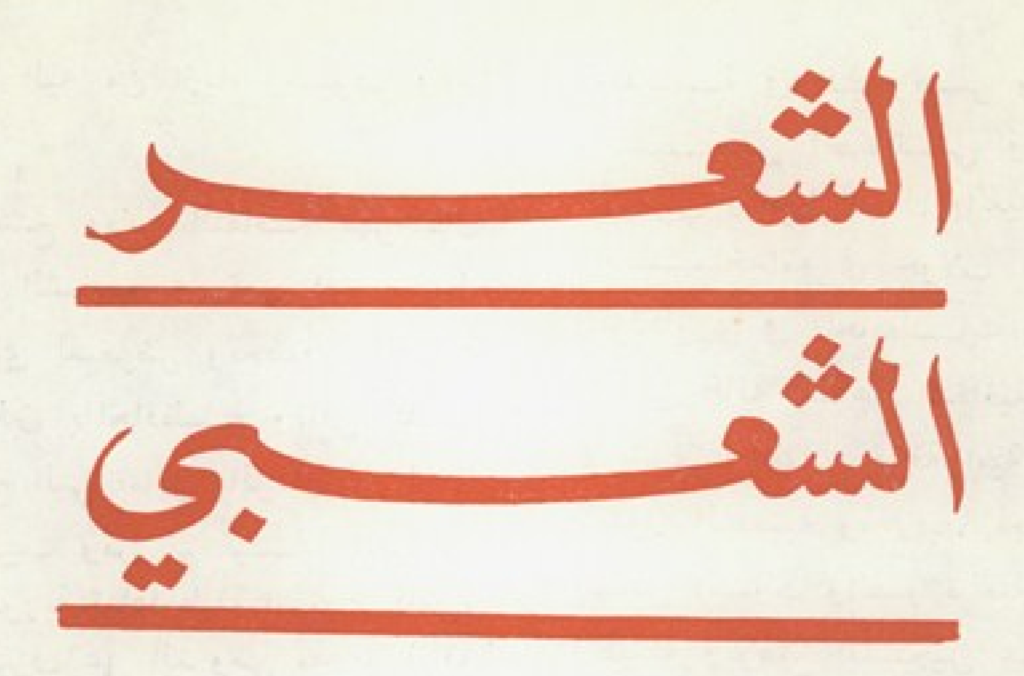
تطلعات نحو المستقبل :

على أن اهداف مديرية التراث الشعبي لن تقف عند هذا الحد بل تتوخى التوسع في القطاعات التالية :

١ ـ التوسع بالارشيف وتطويره بحيث يستوعب التقنية الحديثة في التصوير والسينما والتسجيل الصوتي والفانوس السحري واخيرا ادخال «الفيديوتيب» واستخدامه في جولات المسح الفولكلوري في المحافظات وذلك لتدوين كافة المظاهر الثقافية لصالح الارشيف ولصالح فرقة امية القومية للفنون الشعبية ومدربيها معا بحيث يسجل الصوت والصورة مباشرة على الطبيعة ويوضع التسجيل على اي جهاز تلفزيوني عادي يقف المشاهدون على جميع ما صور كما يمكن التحكم بالصورة وابطائها واسترجاعها بصورة يسيرة ، وبذا يقف الفنانون على كافة الفنون والالعاب في المناطق النائية بصورة جيدة .

٢ ـ توسيع دائرة مهرجان الفنون الشعبية على المستوى العربي والدولي بحيث يتماشى مع نمو الحركة السياحية ليعطي فكرة عن الفولكلور في بلادنا ذات الماضي الحضاري العريق من جهة ثانية .

٣ ـ التوسع بجولات المسح الفولكلوري والاثنوغرافي وبالتالي بالبحوث الميدانية للتمكن من التبادل مع الهيئات العلمية العربية والاجنبية المماثلة ثم محاولة اصدار دراسات في مجلة تصدر باللغة العربية مع خلاصة تتضمن عرضا لها باحدى اللغات الاجنبية .



الوصف في شعر البادية :

ما اكثر الوصف المادي في شعر البادية ، وما ادقه وهناك وصف للخيل وللابل وللقهوة ، لكننا اثرنا قصيدة في وصف المعارك الحربية في الحرب الكونية الثانية لما فيها من الطرفة والجدة ، ولكونها من الشعر النادر في البادية ، قال الشاعر ، وهو (سالم القنصل) ٠

كبد السما صارت اجيوش وحراجي

ميدان حرب انكلترا والمحاوير [١]

تبارزوا عند النجوم الرهاجي

اللي ارتعت به طاح لقاعة البير [٢]

---

(١) لقد غطى كبد السما جيوش فتحولت كالحراج ، فهي ميدان حرب بين انكلترا ودول المحور ٠

(٢) كانت مبارزتهم عند النجوم المتوهجة ، والذي عثر به حظه انحدر الى اسفل سافلين ٠

روكس بن زائد العزيزي



البدوي

امن اروبا نسمع اصراخ اولجاج

جاها الغضب مع حايمات الطياير [٣]

قصف الرعود الارض ليها ارتجاج

الوابل دناميت ما به تناكير [٤]

قذايفا تخسف متين الابراج

بركان يصلاها ابنار اومجامير [٥]

فعايل الالمان فيها سماج

هدم الكنايس ع النسا والاصاغير [٦]

بريطانيا العظمى حقيقة ملاجي

فيها النشامى والرجال المشاهير [٧]

شوف طيران الملكي كالامواج

يشارو لمح البرق بالسرع والسير [٨]

قنابلا تقول وابل زعاجي

لاشتد مزنه في الرد والشخاتير

بامناوشات الجو سرعا رواج

نعمك طيرجيه فوارس مناعير [٩]

---

(٣) نسمع من اوروبا صراخا ولجاجة اتاها الغضب مع الطيارات الحائمة ·

(٤) الارض ترتج بسبب قصف يشبه قصف الرعود ، لكن الامطار دناميت ، ليس فيه شك ·

(٥) قذائف تخسف الابراج والقلاع المتينة ، تشبه البراكين التي تحرق بالنار والجمر ·

(٦) افعال الالمان فيها سماجة منها هدم الكنائس على النساء والاطفال الصغار !

(٧) بريطانيا العظمى هي ملجأ حقيقة فيها الرجال العظماء المشهورون ·

(٨) انظر الطيران الملكي كانه الامواج ، يشبهون لمعان البرق بالسرعة والانطلاق ·

(٩) مناوشات الجو سريعة جدا نعما الطيارون الفرسان الممتازون ·

لـــن احذفـــوهن واقـــذفوهن وهـــاج
تفجـــرن واتفـــرقـــن عالمغـــافـــير [١٠]

مـــع الهاويـــة الهـــن خاويـــة مـــع رجاج
صـــخر انشـــلق من شـــاهقات الشـــناطير [١١]

الســـيف ما ينفـــع او درعـــا او صـــاج
لنـــه هـــوى الكازان ثقلـــه قناطير [١٢]

دمـــا دعـــج عـــلى البســـيطة دعـــاج
تشـــوف الحـــوم الجيش راحت تناثـــير [١٣]

تقهقـــرت المـــانيـــا بـــالفـــراج
تـــوخـــرت غـــاراتهـــم والمشـــاوير [١٤]

يـــا موســـاليـــني كنـــت بالابتهـــاج
عرضـــت جيشـــك للعطـــب والمخاسير [١٥]

يـــا ليبيـــا جـــاك البـــلا والعجاج
مزن اســـــتهلت ع الافرق والطوابـــير [١٦]

جـــاك ســـخط صادوم يـــوم لـــوط لاجي
يـــوم الملايكـــة اشـــعلوها ينايـــر [١٧]

---

(١٠) اذا حذفوا مقذوفاتهم الوهاجة تفرقت على المخافر متفجرة ·

(١١) عند الانقضاض للطيارات دوي وللمقذوفات لمعان كانها الصخور المتدحرجة من اعلى الجبال ·

(١٢) لا فائدة من السيف والدرع والصاج ، اذا هوى الكازان الذي تبلغ زنته القناطير ·

(١٣) الدما تسيل على الارض تشاهد لحمان الجيش متناثرة ·

(١٤) تقهقرت المانيا متراجعة وتأخرت غاراتها المتتالية ·

(١٥) يا موسوليني كنت مبتهجا ، لكنك عرضت جيشك للعطب والخسارات ·

(١٦) يا ليبيا جاءك البلاء ومثار النقع كالمطر المتدفق على الفرق والطوابير ·

(١٧) جاءك سخط مثل السخط الذي حل بصادوم وعموره عندما لجأ نازحا منهما لوط ، وقد اشعل الملائكة تلك الديار بالنار ·

وايطاليـــا مــن رعبـهم بانـــزعـــاج
يندســوا بالغابـات مثـل الخنازيـــر [١٨]

فـرون عــن طبـرق لــون الدجــاج
حــوف الارانــب جروا بالمجاحـــير [١٩]

بنغــازي خلـوها اوهجـــوا هجـــاج
هجـــوا مــع الخليات لــون الشـــنانير [٢٠]

يـــا العــربيـــة اتبشـــروا بانفــراج
دولتنــا ابكل اســلاح اقوى امن الغــير [٢١]

يحيـــى ملكنـــا ابصـولجانا اوتـــاج
واقــول لتشــرتشـل قودمورننج سير [٢٢]

ملاحظات على هذه القصيدة ·

نلاحظ حماسة الشاعر الشعبي واندفاعه في تمجيد قوة بريطانيا لانه توهم كغيره أن بريطانيا قد غيرت سياستها وانها عضدت الامة العربية ونلاحظ توطرا في القصيدة البدوية ·

أ – لم يراع الشاعر عمود القصيدة البدوية الذي سنذكره فيما بعد ·

ب – استعماله كلمة طيرجيه – وهو اعمال تركي لانه استعمل (جي) اداة النسب عند الترك ·

ج – استعماله جود مورننج التحية الانجليزية ·

---

(١٨) ايطاليا من خوفها منزعجة يختفي اهلها في الغابات مثل الخنازير ·

(١٩) هربوا من طبرق مثل الدجاج مثل الارانب اختفوا بالاوجرة ·

(٢٠) تركوا بنغازي وهربوا منها هربا هربوا مع الاراضي العارية ،كانهم اسراب الحجل ·

(٢١) يا بلاد العرب تبشري بالفرج ، لان حليفتنا اقوى من اعدائها بكل انواع الاسلحة · كان العرب يؤملون خيرا بالحلفاء ولا سيما بعد ان ينتصروا في حربهم مع المحور فخاب ظنهم ·

(٢٢) يعيش ملكنا متحليا بالصولجان والتاج ، وانا اخاطب تشرشل قائلا صبحك الله بالخير ايها السيد ·



صيد النمر ـ شعر الطرد

اختلف في هذه القصيدة فمنهم من نسبها الى نمر بن عدوان ومنهم من نسبها الى سالم الفلاح الشاهين من الغنمات ٠

وبما أن غرضنا هنا الاستشهاد ، فليس هنا مجال تحقيق الرواية وقد اختلفت رواية الابيات ايضا ٠

مديت انا ع الصيد ابكل الكلايف
حسبت جال الصيد ما بيه ريبه (٢٣)

لديت واني لارقط الجلد شايف
واللى ايعدي بالصيد ما ينعدي به (٢٤)

بارودتي يا اللي عليها الوصايف
يا ساق ربدا كن بلتني امصيبه (٢٥)

---

(٢٣) توجهت للقنص بكل ما يحتاج اليه الصياد وظننت أن مجال الصيد لا خوف منه ٠

(٢٤) نظرت فاذا انا ارى النمر ، والذي يعتدي على الصيد لا يعتدي عليه احد ٠

(٢٥) قلت لبندقيتي « يا شبيهة بساق النعامة لقد دهتني مصيبة ٠

ملحــــك يعوســـنه اكفـــوف انظايـــف

اوبزرك امقطـــع من سـبايك قضيبـه (٢٦)

فترد عليه بارودته :

إن كنـت مرعوبـا امن المـوت خـايـف

ســوق النظر ، وامزق شبايا جـذيبـه (٢٧)

والله ان خليــت اعظـامـــه ستايـف

يحــرم علي نقلــك ما اعتنـــي بـــه *

ثــار الدفـق مـــن عندنـــا بالجوايـــف

طــب الطرب بالراس قمت انتخي بـــه (٢٨)

طويـــت جلـــده معـرقه للعسـايـف

ثــار البخـــت يا رب حكمـك عجيبــة (٢٩)

اطيرس ، لـــن ثـــار البخـــت من يخالـــف

لثـــار بختـــك ترتقي من النصيبـه (٣٠)

لعــين وضحـــا الكاملـــه بالوصـــايـــف

الموت نـــرده حـــوف ورد الجليبـــة (٣١)

---

(٢٦) لا تخذليني فملحك تضعه ايد ماهرة ورصاصك قد اقتطع من سبايك وقضبان صافية .

(٢٧) فردت علي قائلة اذا كنت مذعورا خائفا من الموت فاجعل عيانك يمر من شبايا انطلاق الرصاص .

● ـ اقسم بالله ان لم تجعلي عظامه قطعا مشطلة فحرام علي حملك والاعتناء بك .

(٢٨) انطلق البارود من عندنا فاصاب الرصاص جوف النمر ، والبدو يجمعون جوف على جوايف اذا ارادوا المبالغة لقد حل الفرح في راسي فاخذت افتخر بقتلي للنمر .

(٢٩) طويت جلده سرجا للخيل المروضة حديثا ، لقد قام حظي فاحكامك يا الهي عجيبة !

(٣٠) اطيرس كلمة يقولها البدو عند الانتصار او عند حصول الامر الذي كان يبدو مستحيلا!

(٣١) افتخاري هو لعيني وضحا ذات الاوصاف الكاملة واكراما لوضحا نرد الموت بشوق كما نرد الموت ونحن عطاش .

لعـــين وضحـــا مـــا انعـرف المخـــاوف
ما انهـاب غـــزوان المـــلا تنتخي بـــه[٣٢]

الهجاء ، وهو نوعان :

أ ــ هجاء لغرض شخصي ·

ب ــ هجاء قبلي يهجا الرجل لانه اخل بتقاليد القبيلة او بالاعراف المرعية · فمن الاول قول الشاعر وقد حل ضيفا عـــلى رجـــل حديث عهد بالزواج ، وكانت زوجته جميلة ، فكره ان يستقبل احدا في ايام عرسه فهجاه الشاعر بقوله : من رباعيات ·

« جـــوليـــا تصـــلح ليعقـــــوب
شـــــوق من تجـــر الثـــوب[٣٣]
بـــالمحـــاكي مـــــوه هبـــــوب
بـــالمجـــالي العـــاليـــــات[٣٤]
جـــولـــيا تصـــلح لحنـــــا
مثـــل الحيـــــد التثنـــــى[٣٥]
بـــالاقـــرى مـــا تـــونـــى
بـــالســـنين المحـــلات[٣٦]
جـــوليـــا تصـــلح للطـــويـــل
شـــوق مـــن قرنـــه يميـــــل[٣٧]

---

(٣٢) افتخاري هو لعيني وضحا ، واكراما لذكرها لا نعرف الخوف ، واذا عرض ذكرها لا نهاب غزوان الدنيا ويكفي افتخارنا بها لكي نهاجم تلك الجيوش ·

(٣٣) جوليا تصلح ليعقوب الشويحات ، الذي تهواه كل امراة من الطبقة العالية ·

(٣٤) عندما يتكلم في المجالس لا يهاب ولا سيما في المواقف الحرجة والمجالات العالية ·

(٣٥) جوليا تصلح لحنا بن فرج الذي يشبه الجمل وقارا اذا جلس ·

(٣٦) لا يتوانى بقرى الضيوف في سني القحط !

(٣٧) جوليا تصلح لعبد الله الطوال ، الذي تهواه كل امراة جميلة جدائل شعرها تميل برأسه ماذا تدلت لغزارة شعرها وكثافته ·

عبـــدالله ســـــيفا صقيــــل

ديمــــه ادلالـــــه امصهيـــــات (٣٨)

جوليـــا تصــــلح لابـــو علامــــة

ع صفـــرا لـــون الحمـــامـــه (٣٩)

صـــالــح يفـــك الجهـــامـــة

والمـــراجـــل بـــاطـــلات (٤٠)

جـــوليـــا تصـــلح للخـــــزوز

ســـلامـــة لهـــا يجـــوز (٤١)

جـــوزهـــا وجـــه العجـــوز

امـــن العجـــايـــز المقطعـــات (٤٢)

جـــوليـــا تصـــلح لابـــن زايـــــد

شـــــوق مـــن تـــلبس قـــلايـــد (٤٣)

لـــــه بالفـــرســـــه عـــوايـــــد

مـــن حمـــايل العـــزيـــزات (٤٤)

---

(٣٨) انه يشبه السيف الصقيل لان دلال القهوة عنده جاهزة دائما ٠

(٣٩) (٤٠) جوليا تصلح لصالح العلمات الذي يركب فرسا صفراء كالحمامة ـ ونلاحظ أن البدو يخبطون في الالوان كما خبط بها العرب قديما فيسمون الازرق اصفر كما سمى العرب قديما الاخضر اسود كقولهم سواد العراق للمكان الذي كثر فيه الشجر وكما سموا الاسحم اخضراني ـ وصالح هذا يخلص الابل الكثيرة المنهوبة عندما يكف الفرسان عن القتال ويهربون من ساحة القتال ٠

(٤١) (٤٢) جوليا تصلح لسلامه الخزوز لان زوج جوليا وجهه مثل وجه العجوز التي في طور الياس ٠

(٤٣) (٤٤) جوليا تصلح زوجا لخليل الزوايده الذي تشتاق اليه وتهواه كل امرأة مترفة مثقلة بالحلي لانه فارس من عاداته البطولة وكيف لا يكون كذلك وهو من اسر العزيزات ؟



أما النوع الثاني من الهجاء ، فهو هذا الذي يصور عادات القوم وتقاليدهم ، قالها الشاعر يوسف المصاروه :

يا رب يا امـير هبايب مطـرهـا

وامـن البلل تـروي اشـقوق الابلاد (٤٥)

يـا باسـط الدنيا او رافـع قمرهـا

وحكمـك عـلى كـل المواجيب بـادي (٤٦)

انتـه ولـي الـروح بمختصـرهـا

صـامت او صـلت ليـك كل الاعبـاد (٤٧)

شـديت ع ملـحا قصـيرا وبرهـا

اسـمر شعرها ، زاهيـا بالسـواد (٤٨)

---

(٤٥) يا الهي يا مسير الرياح التي تجلب الغيث وتروي شقوق الارض الجافة .

(٤٦) يا من بسطت الدنيا ورفعت القمر ، حكمك مقدم على كل واجب .

(٤٧) بالاختصار انت المسيطر على ارواحنا لك يصوم ويصلي كل العباد .

(٤٨) اعددت لايصال رسالتي دابة سوداء شعرها شديد السواد يلمع سواده .

اصله امـــن اللي ينجـــذب من شجرهـــا ،

يقطع ذريم الجـــرح ، كيـــد الامعادي [٤٩]

اســرع بـــرد اشـــدادها بظهرهـــا

واركـــب عليهـــا من عبيد الاكـــراد [٥٠]

وادع زهـــابه حنظـلا مـــن شـــجرها ،

اســمر زوالـــه ، بازرق النيل ، غادي ! [٥١]

واجعـــل مشـــده بطلاسـم شـــهرهـــا ،

تلقـــي ع (ابن ساعد) كفل الســـواد [٥٢]

هذي الكفالة يـــا (نمـــر) مـــن حـــذرها

يحتـــاج من مـــدح البياض الســـواد [٣٥]

انغـــز لـــك رجمـــا ابعـــالي ظهرهـــا

من حمـــة ســـواد احجارة عمـــاد [٥٤]

---

(٤٩) واصل هذا السواد صباغ يؤخذ من شجر تعالج به الجراح فتشفى بسرعة وهو كيد للاعداء .

(٥٠) اسرع بوضع شداد هذه الدابة على ظهرها واجعل الرسول عبدا من عبيد الاكراد تحقير لمن توصل اليه الرسالة لانها مع عبد لا يفهم العربية وكل ما هو اسود يشير الى ما يحق لابن ساعد هذا من تحقير لانه لم يحافظ على التقاليد والاعراف .

(٥١) واجعل الزاد لهذا الرسول من ثمر الحنظل واصبغ هذا الرسول نبيل علامة النذالة .

(٥٢) اجعل اعداد تلك الدابة في الليالي المظلمة من الشهر واوصه ان يصل الى ابن ساعد الكفيل الاسود حظه الذي لم يحافظ على شرف الكفالة .

(٥٣) هذه الكفالة ـ يا نمر ! ـ الذي يفرط فيها نبدل مدحه ، واشهار الراية البيضاء له بالسواد قائلين سود الله وجه نمر !

(٥٤) نرفع لك كومة عالية من الحجارة باعلى المرتفعات ، كلها من حمة سوداء الحجارة تفعل ذلك عامدين مصممين لانك تستحق ذلك .

تـــدعي ســـميك يشـــتبه لجعيرهـــا ،

ينبـــح اليا شـــاف الزوايل تنـــادي (٥٥)

اعــط الفرس (وطفـــا) يغـــل ظهرهـــا ،

غادي الحـــريم الهن عليـــكم مبـادي ! (٥٦)

ان مـــا كفـــت نرســـل ذلـــولا باثرهـــا ،

نقضـــي لابـــن ســـاعد عليها مـــراد (٥٧)

عســـا يفهـــم كلمتي مـــن حضـرهـــا ،

او ينثر جوابـــي ابوســـط كـــل الاعباد (٥٨)

فانت تلاحظ أن هذا الهجاء اختص هذا الوجه بالتحقير لانه لم يقم بما كفله من منع التعدي على من كفلهم !

ننتقل الى الرثاء

قال (سالم القنصل) في رثاء المغفور له الملك (غازي) .

ويش هي اخبـــار الراديو اليوم ويش قـــال

اعلومهـــا دقـــت اجـــراس الاحـــزان (٥٩)

اشوف المديـــنة مضربـــة الناس تجتـــال

متقلبـــات اوجـــوههـــم واللـــوان (٦٠)

(٥٥) ونجعل النمر الذي يشبه اسمه اسمك مثل الكلب ينبح عندما يرى الاشباح تدعوه للنباح .

(٥٦) اعط فرسك الى (وطفا) زوجتك ، لانها احق منك باعتلاء صهوتها ، اجل تخل عن الفرس لانك لست اهلا لركوبها ، لعل النساء افضل منكم .

(٥٧) اذا كانت الدابة التي جعلت ذلك العبد الكردي يمتطيها ليوصل رسالتي اليك غير كافية ، فاني ارسل ذلولا ثانية برسالة اخرى لعلي اتوصل الى تحقيرك بالقدر اللازم .

(٥٨) ارجو ان يفهم قصيدتي كل من حضر المجلس وينشر كلماتي على الملا في كل البلاد .

(٥٩) ما اخبار الراديو اليوم وماذا قال ، علوم الراديو قرعت اجراس الاحزان .

(٦٠) ارى المدينة لا حركة فيها سوى جولان الناس وقد تغيرت الوان وجوههم .

اشــوف تمثـال النعش يـوم ينشـــال

اصفوف المكاتـــب ماشيين ابهيـــان [٦١]

اجنـــود الرايـا واقفينـــا على الجـــال

افراع البنـــادق تكسـوها طمـــان [٦٢]

غير الــذي يصـــرخ واللي ايـــولوال

واللـي يعض انامـله بالســـناني [٦٣]

قالوا اعلـــوم الشـوم هــزه اوزلـــزال

او صاعقـــه قضـت متين الــــركان [٦٤]

يا نار يا اللي بالحشـــا تشعل اشـــعال

وللي يا علمـــا ع ضمـــيري كـــواني [٦٥]

يا قلب يا اللـــي انكســر كسر فنجـــال

شـــيا طمـــا على اعيوني عمـــاني [٦٦]

الملـــك غـــازي صـــادمه شي قتـــال

من صدمـــة اوتومبيـــل في الكهرباني [٦٧]

وين الطبيب اللي بـــه النـــاس تهتـــال

او جمعية أطبـــا ايحضروا الفرمشـــاني [٦٨]

---

(٦١) الاحظ النعش الرمزي وهم يحملونه وصفوف تلاميذ المدارس تسير الهوينى .

(٦٢) والجنود اراهم واقفين على جانب الشارع بنادقهم منكسة فوهاتها !

(٦٣) عدا الذين يصرخون مولولين وغير الذين يعضون اصابعهم باسنانهم !

(٦٤) قالوا علوم مشؤومة علوم زلزلة او صاعقة هدمت امتن اركان الامة .

(٦٥) ايتها النار التي تشتعل اشتعالا ويل لهذا الخبر الذي كوى ضميري .

(٦٦) ايها القلب الذي كسر كما يكسر الفنجان اشعر بان شيئا غطى على عيني فاعماني .

(٦٧) الملك غازي صدمه شيء قاتل اصطدام سيارته بالكهربا .

(٦٨) اين الطبيب الذي يروع الناس علمه لاسعافه او لجنة اطباء يحضرون معهم صيدليا !



ان حصـلت اهـواة قاضيه الطب بطـال
الـروح تخـرج دفعـة ما تـواني [٦٩]

يـا العربيـة نكبـة مالهـا امثـال
زادت ع نكبـة فيصـلا مـن زمـان [٧٠]

يا العربيـة اتكـدروا ابوجـه الاجمال
ول يا بختكو الشـين والوقـت فـان [٧١]

يا ناس هـلوا الدمـع كالمـزن هطـال
هـلوا ادمـوع الفاجعـه والهـوان [٧٢]

على املوكنـا اللي يقهـروا كل محتـال
ان صار بالاجنـاب غـدر او خيـان [٧٣]

ان صـار بالافـلاك قيـلا اوقلقـال
بامـيركا واروبـا والمـانـي [٧٤]

---

(٦٩) اذا حصلت ضربة قاضية الطب لا يفيد ، الروح تخرج دفعة واحدة بلا توان .

(٧٠) يا امة العرب ، هذه نكبة ليس لها شبه ، لقد تفوقت على نكبة فيصل القديمة .

(٧١) لقد تكدر العرب جميعهم ، ويل لحظكم البائس ، لقد فسد الزمان .

(٧٢) ايها الناس اسكبوا الدمع كالمزن المنحدر اسكبوا دموع المصيبة والهوان .

(٧٣) على ملوكنا الذين يقهرون كل محتال عندما يغدر الاجانب ويخونون .

(٧٤) اذا تقلبت الاحوال وكثر القيل والقال في اميركة واوروبا والمانيا .

يا سـدنا يـوم الشدايد والاهـوال
شـدة جمـال الطاغيـة يوم بان (٧٥)

نصيبنـا صـار المشـانق والاحبـال
والعرفي او سيطان او مطـارق امتـان (٧٦)

يا اميرنـا يعطيـك صبر او فضـا بـال
والصبـر بالله وانـت شـهما امعاني (٧٧)

اعيـال الاملـوك املـوك من دور الاجيـال
يسـلم صغير السـن فيصل الثـاني (٧٨)

فنون الشعر :

من فنون الشعر في البادية ، الملاحم وتسجيل الحوادث ، ومن اشهر الملاحم تلك القصيدة الشهيرة المعروفة بقصيدة (الطور) وهي تخـلد معركة كانت بين الحويطات وبني صخر :

شـديـت ثمـانـا مـع ثنتـين ،
عشـرا يـدهجـن الليـل
لصـار الماشـي حميلـه (٧٩)

منهـن خمـس لابـن جـازي
زينـهـن يـوم المغـازي
شـيال الحمـل الثقيلـة (٨٠)

---

(٧٥) ايها السور الذي يحمينا من الشدائد والاهوال ، ولا سيما نكبتنا بجمال الطاغية .

(٧٦) صار حظنا حبال المشانق ومجلس الحرب العرفي وسياط وعصي ضخمة قوية نجلد بها .

(٧٧) يا اميرنا وهب لك الله الصبر وهدوء البال فانت شهم مجرب للامور .

(٧٨) ابناء الملوك ملوك من القدم ، سلم الله فيصل الثاني الصغير السن .

(٧٩) هيات ثماني اذلة والثنتين العشر يقطعن المسافات ليلا اذا كان المسؤول عنهن رجلا حازما فطنا ـ ويروى لشال الماشي حميله ، فعندها يكون معنى الحميل ما يحمله المسافر من روايا الماء .

(٨٠) من هذه الركائب خمس ترسل لابن جازي حاميهن ايام الغزو الذي يحمل المسؤوليات الثقال .

منهـــن خمس لابـــو تايـــــه
عـــوده يــا عــز الــرايـــه
راعـي الوضحـا الامحيلـه (٨١)

يــا عــوده ثــور لهنــــه
عقيــد اوديمــه تـلنــــه
عاداتــه كسر الطويلـه (٨٢)

اشـــرف عيـد ابـن فـــلاح
وانــه يشــوف الـوضـــاح
هـذي عربـانـا محيلــه (٨٣)

لكـــد عيــد ابــن فــلاح
لــط الغـــور امـــع الوضـــاح
خمنها عيشــه طويلـه (٨٤)

اذبحـــوا عيـــد ابــن فـــلاح
عقـــب خـــز للـــوضـــاح
هـــو واحصانـه عديلـه (٨٥)

---

(٨١) ومنهن خمس لعوده ابو تايه ، الذي تعتز به راية الحرب صاحب الناقة الوضحا التي لم تلقح لتكون اقدر على قطع المسافات ٠

(٨٢) عوده ابو تايه هو الذي اطلق عشر الركائب هذه ، لانه عقيد وتتبعه دائما افــواج الغزاة ومن عاداته تحطيم الرماح في صدور اعدائه ٠

(٨٣) ارتقى عيد بن فلاح مرتقى اشرف منه فرأى بوضوح جموعا لا تحصى فقال هذه عربان ساقها المحل الى هذه الديار ٠

(٨٤) عيد بن فلاح همز فرسه بعقب رجله يستحثها للعدو ونهب خيار الابل مع ذات اللون الضارب الى البياض ، وظن أن حياته طويلة ٠

(٨٥) لقد ذبحوا عيد بن فلاح ، بعد ان اختار افضل الوضح من الابل قتلوه هو وحصانه ، الذي سقط معادلا له ٠ وعيد بن فلاح من فرسان الحويطات ٠

عفيـــــه يـــا اللـــي رميتـــــه
مـــــع المعـــارف دليتـــــــه
بـــزرة شـيهاتي تشـيله [٨٦]

(عيـــد) اوذبـاحـــــه (اذعـــار)
الظهـــر النقطـــا امـــن النهـــار
حيث (ذعار) اواتــي لــه [٨٧]

غـــاروا ع طـــــرش الغفـــــل
(عقيلـــه) مـــا حضـــر ابعقــل
لمـــا تغـازى هزيـــله [٨٨]

اذبحـــوا اعيـــال (ابـــن قيفـــي)
او لا اتشـــدون اعـــن الغيــــظ
اذبحوا القـــرم عقيلــه ! [٨٩]

اذبحـــوا اعيـال (ابـــن قيفـــي)
(عقيلـــه) حمـــاي الشـــروان
اغـلاما ما صـــار ابجيله [٩٠]

---

(٨٦) مرحى لك يا من قتلته ، وجعلته يتدلى من عند عنق فرسه ، برصاصة من بندقية شاهانية هي التي نالت منه مقتلا !

(٨٧) الذي ذبح عيد هو (اذعار) من بني صخر ذبحه في رائعة النهار حيث (اذعار) ناله عن جدارة واستحقاق ٠

(٨٨) غاروا على ابل الغفل وهم بطن الهقيش من بني صخر ، وقد كان الفارس (عقيله) غائبا مع قافلة الى وصل هزائل الغزاة ٠

(٨٩) لقد ذبحوا أبناء ابن قيفي من فرسان بني صخر ، ولم يهتموا من غضبه ثم ذبحوا البطل القرم (عقيله)

(٩٠) لقد ذبحوا بني ابن عيطان المسمى (عقيله) حامي الفرارين ، انه غلام ليس مثله بين (أبناء جيله) اترابه ٠



راحــــت حرابــه طــــول ابطــــول

بــــين احويطــاتــــك والاصخــــور

بالصـــاع الجايـــر تكيـــله [٩١]

يـــا اصخــــور كفـــون الجـــواب

لمـــــا ايحضـــــرون الغيــــاب

اللي له شـورا يبدي له [٩٢]

اول شــــور لابــــن فــــايــــز

يــــا شــــوره علينــــا جايــــز

دنــوا الزوامل نشــيله [٩٣]

---

(٩١) اضحت حرابه لمدى الدهر بين الحويطات وبني صخر ، تكيل لهم بالصاع غير القانونية .

(٩٢) يا بني صخر كفوا عن الكلام الى ان يحضر الغائبون ، والذي عنده رأي فليقدمه .

(٩٣) أول رأي هو لابن فائز ، الذي نقبل رأيه ، فقربوا الركائب لنرتحل .

ثـــاني شـــور لابـــن زبـــن
يـــا قلبـــه مليـــان غبـــن
اكثر مــن فيض الثميـــله (٩٤)

ثالـــث شـــــور للهقشـــــان
يـــا نعم مـــن طـــب الميـــدان
يرمـــون القـرم الغليلـه (٩٥)

اصـــخـــورك مـــــدت القـــبلـــه
اعقـــب يـــا ولـــد الغبلـــــه
اللـــي مـــا ينطـــح قبيلـــه (٩٦)

ادحـــــروهـــــم الى مـــكـــــة
هـــذي خـــلايـــق معتكـــــه
دنيـــا اوحايـــر دليلـــه (٩٧)

يـــوم آن لـــزوهـــــم ع (الطـــور)
عـــوده يصيـــح امـــن الجـــــور
الله مـــن قطـــع الاصيله (٩٨)

---

(٩٤) ثاني رأي لابن زبن ، لان قلبه مملوء بالغضب الممزوج بالغيظ ان همومه واحزانه اكثر من فيض الينبوع .

(٩٥) وثالث رأي للهقيش ، وهم افضل رجال في ساحة الحرب يجندلون البطل الذي يشعل فقد النار في قلوب اهله ورجاله .

(٩٦) بنو صخر غزوا الى الجنوب ، تأخر يا ابن البلهاء فانت عاجز عن قراع الخصم .

(٩٧) دحروهم نحو مكة جماعة مختلطة ، وضع يحار فيه الدليل .

(٩٨) عندما الصقوهم بالطور عوده ابو تايه كان يصيح من الظلم يا الهي نجنا من الابادة .

اشــــوف الخيــــل لزمــت الخيــــل

او صـــــارت ظلمـــا مثـــل الليـــل

لعيني املولحـة الجديلـــه (٩٩)

وقــــــع يـــا القـــرم عفـــــاش

وقـــــع يتقفـــس بـالمحـــــاس

من كـــف قـــرم غليله (١٠٠)

حثمــــــل يقـــــول يـــا عيــــــد

صخـــــورك لباســــة حـديـــــد

ارجـالا ع ذبحك غليلـــه (١٠١)

ويشــ نتعــذر مـــن مقيـــــول

يـــــوم نـــروح ويشـــ انقـــــول

الزهبـه مـا هـي قليلـه (١٠٢)

لصـــــار أنـي فـــــوق احصـــــان

امحجـــــل والاصـــــل اعبيـــــان

يقطع متـين الجديلـه ؟ (١٠٣)

---

(٩٩) انا ارى الفرسان قد التقى بعضهم ببعض وصارت ساحة القتال مظلمة كالليل وكل ينادي من اجل عيني حبيبته ذات الجدايل الطويلة ٠

(١٠٠) وقع في ساحة القتال عفاش البطل احد ابطال بني صخر وصار يتخبط بدمائه في ساحة المعركة ، وكان الذي قتله فتى ممتاز ٠

(١٠١) حثمل من زعماء الزبن يقول اهرب يا عيد ، بنو صخر لابسو دروع محاربون اشداء حاقدون عليك يريدون ذبحك ٠

(١٠٢) باي عذر نعتذر من مقبول ، وعند عودتي ماذا اقول ما دامت الذخيرة الحربية غير قليلة ٠

(١٠٣) ما دمت امتطى حصانا محجلا من سلالة عبيا نشيط لا يضبطه عنان ٠

بغـت عـــوده كســـرهــم

او بغــت تايـــــه عشــرهم (١٠٤)

راحــت ع اصخــورك دبيله

عـــدوهــم ابيـــوت الحـــرب

انســـفوهــن عـلـى الـــركـــب

ادلال القهـوة ابجميلــه (١٠٥)

يا بيــض حـــدن ع هــايـــل

يــا امنشــرات الجــدايــــل

اصبغـن الثنـايا ابنيـله (١٠٦)

حـــدن ع راعـــي الغـــزالــــه

الخيـــل تجــافـــل من جالــــه

هايل يا اذعار الدبيـــله (١٠٧)

---

(١٠٤) حظ عوده ابو تايه هزم بني صخر وكسرهم ، وحظ تايه والد عوده هو الذي رماهم بالعشرات ، فهزموا هزيمة تامة منكرة .

(١٠٥) بيوت الحرب التي كان بنو صخر قد نصبوها وتركوا ابناءهم ونساءهم فيها ، هربوا عنها ، فغنمها القوم وحملوها على ركابهم ، وادلال القهوة تركها بنو صخر بثفلها من غير أن يشربوا ما فيها .

(١٠٦) ايتها النساء الجميلات البسن الحداد على (هائل) ايتها الفتيات اللواتي تنشرن جدائل شعركن مبالغة بالزينة واثارة للاغراء اصبغن ثناياكن بالنيل الازرق مبالغة في الحداد .

(١٠٧) البسن الحداد على صاحب الفرس المعروفة بالغزالة ، الذي تجفل الخيل من الجهة التي يكون فيها لان هايل ذعر لاكبر مجموعة من الخيل التي لا تحصى .

وقفة عند هذه الملحمة

نلاحظ في الملحمة عدة نقاط جديدة وهي :

أ أن القصيدة ثلاثية ، اي مؤلف كل بيت فيها من ثلاث شـــطرات صدر ، عجز ، قاعدة

الصدر والعجز لهما روي واحد ، أما القاعدة في القصيدة او الملحمة كلها واحدة وقد التزم فيها الياء بعدها لام بعدها ها .

ب ـ أن الملحمة لم تراع قوام القصيدة البدوية المعروفة وهذا نعده تجديدا في شعر البادية ما عدا مشد القصيدة .

ج ـ تصوير الجو العشائري في ذلك الزمن !

انطاق ما لا ينطق في شعر البادية :

هذا اللون من الشعر في البادية كثير ومنه انطاق الجماد ، اعتبره العلامة الجارم فتحا في الادب الاندلسي ، وهو يتكلم على القصيدة التي مطلعها .

وأرعن طماح الذؤابة باذخ يطاول اعنان السماء بغارب

لابن خفاجة . وقد كنا نبهنا على هذا الوهم في حينه .

قال الشاعر الشعبي المرحوم سلامه الغيشان في حوار له مع حصانه في قصيدة له بعنوان (العوج)

يـا عــوج يــا اللي امحجلات تواليــك

وامعنقـا طويـل أشــقر تــــواتي (١٠٨)

دفعت أنا يا عوج ، غــالي الثمن بيــك ،

حسـبت انك يا الهمش تكـرب وطاتي (١٠٩)

---

(١٠٨) يا حصاني ذا القوائم الخلفية المحجلة يا ذا العنق الطويلة يا ذا اللون الاشقر الذي يعجب من يراه .

(١٠٩) لقد دفعت ثمنا عاليا لاشتريك وحسبت ايها الحصان انك تهيء ارضي للحراثة .

وهمتني يا شــــين ابغلظــة علابيـــك

فرحـــت قلبي اوقلت هذا امنـــاتي (١١٠)

اوغريت بي يا عوج ، يغـر الدهــر بيـك

أتعبتني يا شين اوعفـــت حيــاتي

علي انـا ياعــوج باكــر لجـازيــك ،

ان كـــان مـا غــيرت طبعــك بتات (١١٢)

لاوصلــك عمـــان وارمــي مخاصيـــك

واذوقـــك يا عــوج حـــال الشـمات (١١٣)

والله لـــو دريـــت أن هـــذولن محاكيـك

ما اطعمتـــك يا المهلوب ناتج وطاتـــي (١١٤)

وانقـل على ظهـــري حشيشا واعشـــيك

واســرحك بالليـــل الحـــين المبـات (١١٥)

وهنا ينطق حصانه بالابيات التالية :

لا تلـغ يا (اعزين) وانشـــد ابن اخيـــك

عنـي بالكـرك ويش هي اســـواتي (١١٦)

---

(١١٠) لقد اوهمتني ايها الحقير بغلظ مؤخرة عنقك ملأت قلبي فرحا وقلت هذا هـــو ما اتمناه .

(١١١) وهكذا خذلتني ايها الحصان خذلك الدهر ، اتعبتني يا حقير حتى عفت حياتي .

(١١٣) لاوصلك الى عمان وازيلن معالم ذكورتك وأذيقك ما يشمت الناس بك .

(١١٣) لاوصلك الى عمان وازيلن معالم ذكورتك واذيقك ما يشمت الناس بك .

(١١٤) والله لو علمت ان هذه قضيتك ما اطعمتك يا تافه ما انتجت ارضي !

(١١٥) كنت انقل الحشيش لك واعشيك ، وكنت اسمك بالليل الى حين المبيت .

(١١٦) لا تتكلم علي يا (اعزيز) وسل قريبك بالكرك عن قيمتي .

لن اعتليت الســرج باظهـري اواتيـــك

مــا يلحقنــي بالخيــل الا بناتــي (١١٧)

وانــا دخيل (اسعود) عنــي يقاضيـــك

ابـــوه قبلــه اسـياج للمحصنات (١١٨)

فيرد عليه الشاعر ويقول :

ســلمت لا يــا العـوج ربـك يجازيــك

مــن دربــك يا المهر ع الدخــلات (١١٩)

ع الــراس اخـو خضـرا بلعـون يحميــك

اومن راس قــوم باللــوازم امضـــاة (١٢٠)

ما دام هــذا الـــحال ابشــر لاخليــك

عــلوه لدهــم اخيولنا المكمــلات (١٢١)

واركب على العربــان كــل يوم اشــبيك

واعيش انـــا وايـــاك ع اللايحـــات (١٢٢)

---

(١١٧) اذا ركبت بسرجي انا اعجبك ، ولا يسابقني من الخيل الا بناتي .

(١١٨) وانا مستجير بـ (اسعود) المجالية يدافع عني ، لان والده قبله ملجأ للخيل الاصائل .

(١١٩) لقد نجوت ايها الحصان الله ينتقم منك من الذي دربك ايها المهر على الاستجارات .

(١٢٠ ، ١٢١) على رأسي ان سعود المجالية يحميك ، هو معتاد ان يركب دهم خيولنـــا الاصيلة . وهو من قوم في المشكلات نافذون فأبشر ، اني قد عفوت عنك .

(١٢٢) ساطوف انا وانت واجعلك تنزو على الخيل واعيش انا وانت كيفما اتفق !

تقاليد الزواج في لفتـــا

بقـــلم : هنا صيام

العادة المتبعة في الزواج هي أن تتم[1] طلبة العروس بجاهـــة ، والجاهة عبارة عن جماعة من الوجهاء يذهبون الى منزل والد أو ولي أمر الفتاة المخطوبة ، ويمتنعون عن شرب القهوة الى ان يسمح لهم ولي أمرها بها ويقول لهم : « طلبكم واصل » او «جتكم عطية» ويسمى الاتفاق عـلى الخطبة «قراية الفاتحة» ويقول الناس أن قراية الفاتحة هي نص الصفاح[2] أي أن الخطبة تمثل خطوة تعـادل الوصول الى منتصف الطريق نحـو عقد النكاح .

أما اذا قال ولي أمر الفتـــاة « جتكم عطية » او « طلبكم واصل » وسكت فانه يفهم من ذلك أن وليها يريد أن يشتط في مقدار المهر تعزيزا لمقام ابنته ، لأنهم يعتقدون أنه كلما غلا المهر كانت قيمة العروس أعظم ، فاذا بالغ والد العروس في مطاليبه توسطت الجاهة لتنزيل قيمة المهر على غرار مثيلاتها من فتيات القرية .

والمهر يسمى عند البعض السياق لأنه في الاصل عبارة عن ابل وغنـم يسوقها العريس لوالد العروس ومـن ذلك اشتقوا كلمة السياق .

أما اليوم فقد درجـــت العادة وجرى العرف على تسمية[3] المهر في

---

(١) قد تتم خطبة الفتاة يوم ولادتها وتسمى الخطبة يوم الولادة «عطية الجورة» او عطية اب فعندما تولد البنت يقول احد الاشخاص لوالدها «مبروك العروس» فيقول الاب «ع حبل ايدك» ويقبل الرجل البنت لابنه وتتم الخطبة .

وكلمة الجورة : كناية عن المسافة التي بين جسد المرأة والارض حيث ان العادة القديمة هو أن تجلس المرأة على اداة مجوفة عند الولادة .

(٢) نص الصفاح ، هو عقد النكاح الذي ينعقد في حال اقتران الايجاب والقبول ايجاب من العريس وقبول من والد العروس بالزواج منها على مهر معجل ومؤجل يسمى في العقد .

* اعتمدت الكاتبة على روايات معظمها من قرية لفتا بقضاء القدس .

عقد النكاح ضمانا لحق الزوجة من فراق الزوج لها بطلاق او موت فيتفق مثلا على أن يكون المهر المسمى ١٠٠ دينار « مهر معجل » و ١٠٠ دينار مهر مؤجل بالاضافة الى شروط اخرى قد يشترطها العريس او أهل العروس ، الا اننا لم نسمع بشروط خاصة في عقد النكاح ٠

وأما بالنسبة « للعصمة » فتكون بيد الرجل دائما ولم نسمع ايضا أن العروس في القرى الفلسطينية كانت العصمة بيدها لأنهم يعتبرون أن هذا عار يلحق بالعريس في حال قبوله أن تكون العصمة بيد العروس ٠

وأما بالنسبة لولي أمر الفتاة ، علمنا أن وليها له القول الفصل في تقرير زواج ابنته من العريس المتقدم حيث لا رأي لابنته(٤) في اختيار زوجها «عريسها» ويفسر هذا بأن لا رأي للفتاة في مثل هذا الموضوع حيث أن وليها هو الذي يعرف ملاءمة العريس لها أم لا ؟ ٠

ونلاحظ أن القرويين كثيرا ما يزوجون ابنتهم وهي صغيرة السن (٥) وذلك خشية الانحراف الخلقي فيفضلون كما يقال « ستر وليتهم » مبكرا والبعض الاخر يرى أن في الاسراع في زواج الفتاة وهي في سن صغيرة زيادة في كثرة نسل الاسرة وضم اعداد كبيرة عاملة اليها ٠

جاهة ثانية

بعد أن ينطق والد العروس أو ولي أمرها بها يعينون يوما لشراء كسوة العروس وقبل البدء بشراء الكسوة اعتادت بعض القرى أن ترسل جاهة ثانية تمتنع من شرب القهوة الى أن ينطق والد العروس مرة ثانية والغرض من هذه الجاهة قطع الطريق على المعترضين من أبناء عم العروس الذين يحق لهم بموجب التقاليد أن يلغوا كل اتفاق لأنهم اولى الناس بابنة عمهم ومن اقوالهم المأثورة :

« ابن عمها بنزلها عن الفرس » او « ابن العم بطيح عن الجمل » ٠

---

(٣) أوجب الشارع الاسلامي تسمية المهر في عقد النكاح الشرعي وأجاز أن يكون مبلغا من المال او مالا متقوما شرعا كان يكون مثلا عبارة عن مال عيني كالابل والغنم او مقدارا من غلة زراعية ٠٠ الخ وحرم المال غير المتقوم شرعا كالخمر والخنزير مثلا لان يكون مهرا مسمى في العقد ٠

(٤) اوجب الشارع الاسلامي موافقة ولي الفتاة على زواجها بعد استئذانها مصداقا لقول الرسول عليه السلام « البكر تستاذن والثيب تستأمر واذنها صمتها » فالبنات غالبا ما يلتزمن الصمت نظرا لكثرة خجلهن من اعلان رأيهن بصراحه أمام والدهن ، فلذلك قرر الشرع أن سكوت البنت عند اخذ مشورتها يعتبر رضا على زواجها من الشخص المتقدم ٠



اعتراض ابن العم

لابن العم حق لا يناقش في زواج ابنة عمه ، لدرجة انه يستطيع الاعتراض على زواج ابنة عمه من الغرباء ولو كانت قد ركبت الفرس في طريقها الى بيت الزوجية ٠ والعرف جار عند اغلب الأسر بأولوية ابن العم انطلاقا من اعتبارات اساسية وهي الاكثار من نسل العائلة ، حيث يحمل المولود المرتقب اسم العائلة ، كما أن زواج الفتاة من شخص غريب عن العائلة سيكلف اهلها الكثير في السعي اليها والسهر على راحتها هذا بالاضافة الى عامل اخر اكثر اهمية وهو المحافظة على ثروة العائلة من أن تتسرب الى ابناء شخص غريب عن طريق الارث وكثيرا ما تقع المعركة بين اهل العريس واهل العروس بسبب اعتراض احد ابناء عم العروس باعتبار أن له حق الأولوية في العروس وتدعى هذه الاولوية (البداه) فيقولون فلان ابدى ببنت عمه ويقولون « جحا ابدى في لحم أبوه » أما اذا تزوج الشخص الغريب من بنت العم رغم نهي ابن العم عن مثل هذا الزواج اعتبر هذا الزواج جريمة

---

(٥) يستدل على اهلية الفتاة والشاب للزواج رغم صغر سنهما من امارات طبيعية متعارف عليها ومن امارات اخرى يمكن تسميتها فسيولوجيه ، الا أن أغلب قوانين الاحوال الشخصية المعمول بها حاليا في اغلب الدول العربية تشترط بلوغ الفتاة سن ١٥ وبلوغ الشاب سن ١٨ ٠

وتعرف لدى البعض بجريمة النهوة.

أي أن جزاء الشخص الغريب الذي تزوج من ابنة العم رغم نهي ابن عمها(٦) هو القتل ، كما تقتل الزوجة باعتبارها شريكة في الجرم ، أما لدى البعض الاخر فان العقوبة هي الغرامة والزام المنهي عن الزواج بأربع بنات .

عباءة العم والخال

التقاليد المتبعة في العرس الفلسطيني هو أن يسترضى عم العروس الاكبر وخالها الاكبر وذلك بتقديم **عباءة** لكل منهما او ما يسميه البعض «هدم» او «بلصه» والا فان عدم موافقة العم والخال تحول دون خروج العروس واتمام العرس .

ويقول بعض المتقدمين في السن أن استرضاء العم والخال يعود لما لهما من مقام كريم وكبير من جانب العروس انطلاقا من عرف جار العمل به ، وهو أن العريس قبل اقدامه على الزواج يذهب للاستفسار عن اهل الفتاة التي ينوي خطبتها ، فاذا كانت ذات سمعة طيبة اقدم على الزواج بنفس طيبة وهمة عالية ، ويعزز هذا المفهوم قول الرسول عليه السلام **«تخيروا لنطفكم فان العرق دساس»** **« كادت المرأة أن تلد أخاها »** **« أبن اخت القوم منهم »** ومثل شعبي دارج ايضا هو **«ثلثين الولد لخاله »** .

وتعتبر عباءة العم والخال هدية معنوية من جانب اهل العريس للعم والخال ، ويكون العم والخال مكلفان بزيارة وليتهما في المناسبات الدينية ، وذلك لتعزيز مقام العروس عند اهل عريسها .

شاة الشباب

بالاضافة الى استرضاء العم والخال يسترضي أهل العريس شباب الحي وذلك بتقديم«شاة الشباب» اومايسمى عند البعض «طبخة الشباب » ، حيث تعمل المناسف احتفالا بخروج العروس ، والمعروف أن العروس لا توافق على الخروج من بيت والدها الى بيت الزوجية الجديد الا اذا تأكدت من رضا اهلها وأهل بلدها وكثيرا ما يحصل الخلاف بشأن شاة الشباب او طبخة الشباب .

كسوة العروس

ومن اهم الاستعدادات التي تسبق الزفاف شراء «كسوة العروس» او جهاز العروس وهي من الامور الخاصة بالعريس التي يتوجب عليه أن يقوم بها ويساعده في ذلك اقرب قريبات العروس مثل امها أو أختها ،

---

(٦) لم نسمع بمثل هذه الجريمة ، الا لدى بعض عشائر البدو في العراق وعشائر البدو في شرق الاردن ، ولذا فان جريمة النهوة غير مؤكدة لاختلاف الاقوال وعدم تواترها .

وبعد شراء الكسوة تحمل الى البلد في موكب هازج وتأتي نساء القرية للاطلاع على المواد المشتراة وهن يغنين .

(روته السيدة جهاد سلامة معلمة من لفتا تبلغ من العمر نحو الثلاثين) .

بالهودج يما الهودج يا فلانه
بالهودج يما الهودج يا لالا
١٠٠ ليرة والف ريال يا فلانه
١٠٠ ليرة وألف ريال يا لالا
يا خيك طلع زعلان يا فلانه
يا خيك طلع زعلان يا لالا
خطيبك طلع رضيان يا فلانه
خطيبك طلع رضيان يا لالا
يا جهازك ملا الشنتات يا فلانه
يا جهازك ملا الشنتات يا لالا
واللي معانا الله معاه
واللي علينا الله عليه
واللي معانا الله معاه
واللي علينا الله عليه

وأما المواد المشتراة فغالبا ما تكون كما حدثنا البعض « طاقية ذهب » وأساور ذهب ، خواتم ذهب ، حلق ذهب ، ثوب مخملي اخضر او أحمر ، غطاء رأس ، حنا ، كحل ، وطا «كندرة او صرماية» قميص ، الباس «سروال» .

الا أن العادة الان تغيرت حيث اصبحت العروس هي التي تنزل الى السوق بالاشتراك مع والدتها لشراء الجهاز وقد تقوم بشراء بعض الالبسة الداخلية لعريسها ، وقد يكون معهما احدى قريبات العريس كشقيقته او أمه للاشراف على شراء الجهاز .

الفاردة

الفاردة كلمة مأخوذة من فردة اي عزلة ويسمى **القطار** وهو عائد والعروس معه «الفاردة» هذا ان كانت العروس قد احضرت من بلد غير بلد العريس او من منطقة غير منطقته أما اذا كانت في البلد نفسه فان الفاردة تطلق على جمهرة من النساء ليس معهن رجال ، وقد جرت العادة أن يذهب هذا الجمهور من النساء «لتمشيط العروس» اي تسريح شعرها وتحميمها وصبغ يديها ورجليها **بالحنا**(٧) وكانت العادة

(٧) الحنا في الليلة الاخيرة من ليالي الفرح تاتي قريبات العريس لتحنية العروس وتسمى هذه الليلة ليلة الحنا . حيث يبدأن بعملية تخضيب ذراعي ويدي العروس ومفاصل يديها واصابعها وساقيها وقدميها بالحنا وتوضع كتلة كبيرة من الحنا داخل يدي العروس وتطبق العروس يدها عليها ، وبعد انتهاء تحناية العروس تقدم الحنا للنساء الحاضرات ولاطفالهن ، والعادة أن عملية الحنا قد يغلب عليها الفن ، حيث تظهر يدا العروس مزركشة .

وفي ليلة الحنا فان العروس عادة يغلب عليها البكاء ، وعندها تغني لها صاحباتها اغاني وداعية حزينة .



قديما تقضي على العروس أن تهرب من وجه الفاردة لئلا يقال انها متهالكة على الـزواج ، لأن العـروس كلما أظهرت امتناعا زادت قيمتها ، غير أن الفاردات يرغمنها على الاستحمام وقد يضربنها أحيانا ، والفـاردات يغنين أغاني متنوعة منها ما هـو مدح لوالد العروس او والد العريس او لرجال معروفين في البلد مثل :

يا أبو فلان يا جوهـر جماعتنا
يا جوهر العز ما انته جوهر المال

احتفال أهالي القرية

يحتفل اهالي القرية لسـبع ليال متتالية قبل الزفاف فيحتفـل

الرجال في ساحة القرية حيث يشعلون النار في المساء لاضاءة المكان ولاعداد القهوة وتحتفل النساء في دار العريس ، وتبدأ الاحتفالات كل ليلة . عندما تأتي المحتفلات الى دار العريس وهن يحملن المشاعل حتى اذا ما وصلن باب الدار اخذن يهاهين ويزغردن .

أما الرجال فيبدأون سهرتهم بالدبكة اذ يرقصون في حلقة بقيادة لويح وعلى أنغام «شبابة» والدبكة في مستهل السهرة هي بمثابة دعوة لأهل القرية ليتوافدوا ويسحجوا ويغنوا قائلين وقد نقلت النص عن (السيد محمد شنك من لفتا يبلغ من العمر نحو ال ٥٠ سنة) .

محمد زين وذكره
محمد يا كحيل العين
محمد خاطبه ربه
ليلة الجمعة وليلة الاثنين
شباب قوموا العبوا
والنوم وش منه
والنوم ملحوق عليه
والموت ما عنه
تخلع يا خوخ ورمان
تخلع على صدير العرسان
بارودنا مجوهر عتيق
وطريحتنا يصيح ما يفيق
بارودنا هاللي انهجر
يشكي لنا من الصدى
عريسنا شيخ الشباب
وشيخ الشباب عريسنا
عريس الزين يتهنى
واله سنتين يستنى

استضافة شاعر

وفي أغلب الاحيان يستضيفون شاعرا او شاعرين على الاكثر ليلقي كل منهما أشعارا خاصة على انغام الربابة وغالبا ما يتبارى الشاعران حيث يعدد أحدهما مزايا العريس ومناقبه الحسنة ، والاخر يعدد مزايا العروس ومناقبها وحسبها ونسبها وأثناء هذه الاحتفالات كلها يفترض في العروس أن تختفي عن اعين المحتفلين او لاتظهر السرور والبهجة الا اذا كانت ستتزوج هي واخوها في مناسبة واحدة بطريق البدل(٨) .

وليمة العرس

وفي يوم الزفاف تعد وليمة العرس ، فيذبح اهل العريس الغنم او الضأن ويعدون الطعام في المناسف والجاطات المملوءة بالارز واللحم المطبوخ مع صحون المرق « اليخنة » او مريس اللبن الجامد ، وعند اخراج الطعام للضيوف تغني النسوة وهن يحملن المناسف على رؤوسهن .

---

(٨) زواج البدل وهو ما يسمى بالشريعة الاسلامية بـ « نكاح الشغار » وهو زواج محرم شرعا لما له من نتائج سيئة على حياة الاسرة .

فاذا تخاصمت الزوجة مع زوجها مثلا او طلقت ، فان مثل النتائج قد تلحق بالزوجة الاخرى المتزوجة بطريق البدل ، انتقاما وثأرا لشقيقته التي طلقت. هذا من جهة كما أن زواج البدل « نكاح الشغار » ليس مهرا متقوما شرعا .

وهذه هي احدى العادات السيئة المنتشرة في اغلب القرى الفلسطينية وفي الوطن العربي بوجه عام ، الا أننا نلاحظ في الوقت الحاضر قلة انتشارها بعد أن لمس معظم اهالي القرى مضارها .

زفة العريس والعروس

« القصد من الزفة هي اعلام الناس بالزواج وابعاد الشكوك عن العروسين » بعد وليمة العرس تهيأ العروس للزفة من بيت والدها الى بيت أهل العريس وتكون الزفة مصحوبة بالرقص وزغاريد النساء ومهاهاتهن .

(روتها السيدة جهاد سلامة معلمة من لفتا) .

اربع خواتم باصبعها
والخير منكن يطلعها
ما خير الا ابو فلان (والد العروس)
شك الخواتم باصبعها
اربع اساور بايديها
والخير منكم يجيها
ما خير الا ابو فلان
شك الاساور بايديها

وعند دخول العروس بيت العريس تجلس على كرسي معد لها ولعريسها يسمى « اللوج » ثم يأتي العريس بعدها في زفة مماثلة مصحوبة بسحجات الشباب والمواويل الشعبية .

(رواه الحاج عثمان صيام العمر ٩٠ سنة من لفتا) .

يا صاحبي لا تواخذني بزلاتي
وزل الكلم بالورق وشمال زلاتي
غزلان طحن السهل
ولهن زمان ما جين
معهن دفاتر ورق
طول الزمان يكرين
صاحبت صاحب
وتاري صاحبي مصاحب
ومن صاحب اثنين
لا يعتب ولا صاحب

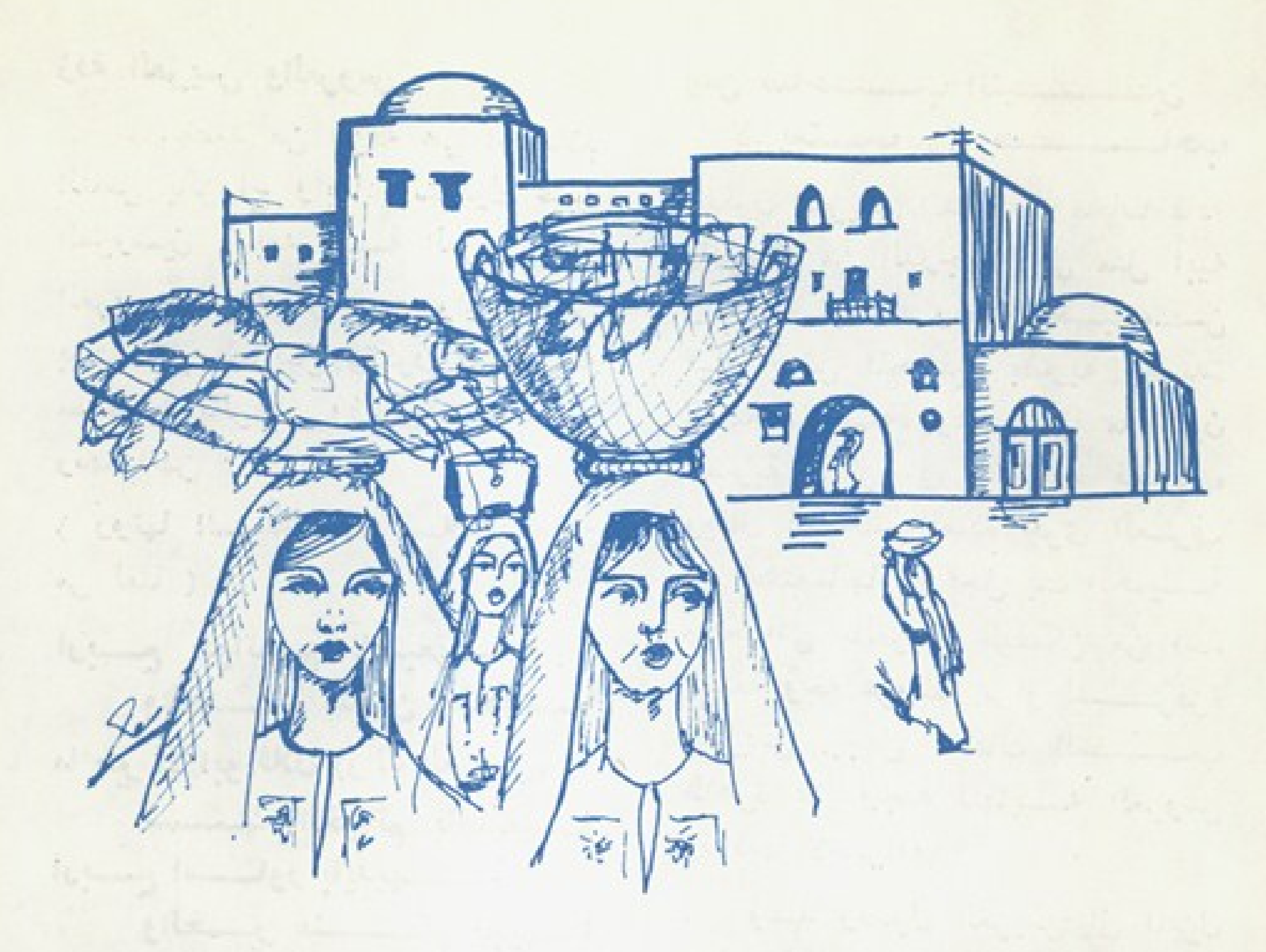
ويكون العريس اثناء زفته محاطا عادة باقربائه من الدرجة الاولى مثل ابيه وأشقائه او عمه وخاله تحسبا من قيام بعض المحتفلين بضربه بحديدة مدببة « مسلة» وغالبا ما تكون الضربة مركزة في عضلة « فخذه » ويقال أن هذه العادة جرى العرف على استعمالها من اجل بث الحمية والحماس بالعريس ليتمكن من اخذ كشفة وجه عروسه ، او لنرفزة العريس وجعل علامات الغضب ظاهرة على وجهه لتهابه العروس ولدفعها لاحترامه .

وعند وصول العريس الى المنزل يجلس الى جانب عروسه وتأخذ الفتيات بالغناء والمهاهاة وكل اغنية تبدأ بكلمة أهيا ومن ذلك .

أهيا والطول طول المها والعنق مايل ميل
والخصر من رفعه هد القوى والحيل
ياناايمين الضحى وتنبهو في الليل
فلان صاد الغزال اللي عليه العين
اهيا اشوف ابو فلان ع صفو القمر يمشي
كفه محنا و ع جبينه ذهب محشي

* * *

يخلف عليكم كثر الله خيركم
يخلف عليكم كثر الله خيركم



يخلف على ابو فلان (ابو العروس)
خلف الله عليه
طلبنا النسب منه
واعطانا غزال مصور
يخلف على ابو فلان
خلف الله خلفين
طلبنا النسب منه
واعطانا بناته التنتين
يخلف عليكم كثر الله خيركم
يخلف عليكم كثر الله خيركم

رقصة الجلوة

ويأتي الوقت المناسب لتنهض العروس فترقص رقصة الجلوة أمام عريسها وقد امسكت بيدها احدى قريباتها او قريبات العريس وترقص العروس أمام عريسها وقد ارتدت كل ثيابها واحدا في اثر اخر وذلك لتعرض كسوتها او جهازها على مرأى النساء المحتفلات ولتبدو أجمل منظرا في عين عريسها ، ثم تعود لتجلس الى جوار عريسها ، وعندها يقوم الحاضرون ويهنئون العروسين وأهاليهما بعد أن يكونوا قد «نقطوهما» ومن ثم يخرجون تاركين العروسين ليبدأا خلوتهما الزوجية .

النقوط

قلنا أن المحتفلين – وعندما تكون العروس «مصمودة» على اللوج – يقومون بتنقيطهما اي بتقديم هداياهم ، والنقوط عبارة عن مبلغ من المال الغرض منه مساعدة العريس

على نفقات العرس وكان مقـــدار النقوط يتراوح في القديم بما يعادل «البشلك» وهو نقد تركي من النحاس قيمته خمس وعشرون بارة وقد يرتفع النقوط الى الريال او الريالين ومـن النادر أن يصل الى الليرات الذهبية الا عند اخص الاقــارب كالوالــد والوالدة والاخ والعم والخال ٠

وقد يكون النقوط عبارة عـن مساعدة عينية ، كأن يقدم المهنـىء شوال ارز او شوال سكر ، قود ٠

أما في وقتنا الحاضر فقد اصبح النقوط في الغالب عبارة عن هدايا عينية مساعدة عينية ، كأن يتعرف اهـل العروسين وأصدقاؤهمـا على نواقص بيتهما الجديد ، فيقومون بشراء مثل هذه النواقص ويقدمونها للعروسـين كهدية ٠ اما اذا كان النقوط مبلغا من المال فغالبا ما يكون مبلغـا محترما والنقوط دين على العريس ، يوجب عليه العرف تسديده في مناسـبة مماثلة واذا تخلف عن ذلك يحق لمن اهدى اليه شيئا أن يطالبه به ٠

خلوة الزوجين « الدخلة »

للدخلة تقاليدها المرعية : فعندما يحين الوقت المناسب لدخول العريس على عروسه ، ينتزع صديق أو قريب العريس لضربه على ظهره ، والقصد من هذا الضرب هو صرف العريس عن فرحته الغامرة وليدخل بوجـه عابس ليتمكن من اخذ كشفة وجـه عروسه ٠

وقبل ذلك تكون العروس قـد ادخلت الى بيت الزوجية ويرافـق دخول العروس طقوس شعبيـة اذ يجب صب الماء أمام العروس وخلفها حتى يدخل الشرف والثراء معهـا ويجب أن يسمي الحضور عند عبور عتبة الدار ، كما أن العروس تعطى قطعة من العجين والعرق الاخضـر لتقوم بالصاقه على جدار البيت من الخارج وذلك جلبا للخير والبهجة على حياتهما الزوجية وعندما يدخـل العريس على عروسه يحمل سيفا او عصا ليضربها ضربا خفيفا يحمل في ثناياه دفعها على احترامه وحتى تهابه وتخضع له ، ثم يكشف الحجاب عن وجهها بينما تظل هي صامتة مغمضة العينين خوفا ورهبة وهناك مثـل شعبي دارج يدل على بداية استعمال العريس سلطته الزوجية منذ الدخلة « اقطع راس القط من اول ليلة » ، وقد يقوم العريس بطقوس شعبية اخـرى ولا تزال مثل هذه الطقوس مستعملة حتى الان ، كأن يقوم العريس بدعس قدم عروسه ، ليدل على ان عروسـه اصبحت تحت سيطرته وحكمه ٠

وفي اغلب الاحيان يكون أهل العريس قد اعدوا وجبة عشاء «دسمة» للعروسين وبعد أن ينهي العروسان العشاء ، يقوم العريس ويقدم هدية « نقوط لعروسه فيقول لها اخلعي ثيابك فترفض فيقدم لها هدية اخرى ثم يعيد الطلب مرة ثانية فترفض وهكذا حتى ترضى ، وعندها يكون الاقارب خارج البيت ليتأكدوا من أن العريس قد قام بواجبه خير قيام ومن ان البنت حافظت على شرفها واثبتت ذلك بوجود البكارة والعادة الجارية أن العروس تحتفظ باثار شرفها - اثار فض البكارة - وعندها تخرج أم العروس لتعلنه على نساء البلد المحتفلات مفتخرة بشرف ابنتها ٠

وفي صباح اليوم التالي للدخلة يذهب العريس الى الديوان ليسلم على الرجال ويتقبل تهانيهم ويأخذ معه القهوة والسكر ، ويظهر من نظراته اذا كان قد اخذ كشفة وجه عروسه أم لا ؟

فاذا ظهر أن العريس فشل في **اخذ كشفة وجه[9] عروسه** تكثر عليه نظرات الاشمئزاز والهمس عليه ، والعادة أن أهل العروس يصبرون عليه مدة معينة من الزمن واذا ظهر لهم عدم رجولته سحبوا منه عروسه ٠

أما العروس فتذهب في صباح اليوم التالي للدخلة الى العين لتلتقي بالنساء في المكان الذي يلتقين فيه عادة ولتعرض لهن ما حصل لها ٠

وبعد الاسبوع الذي يلي « ليلة الدخلة » يأتي الناس لتقديم التهاني والتبريكات وقد يأتي المهنئون وهم يصطحبون معهم حيوانات للذبح «قود» فتغني لهم قريبات العريس ٠

اجتنا جريره تمشي
معاها خروف وكبش
وهذا فعلك يا فلان
والنذل ما يفعلش

وبعد نهاية الاسبوع تذهب العروس لزيارة بيت والدها وهي تحمل معها المنسف وعندما تعود يحملها أهلها هدية مناسبة وفي نهاية الاسبوع الاول للزواج تخلع العروس ثياب العرس وترتدي ثياب الحياة اليومية وتبدأ حياتها الزوجية العادية في بيت زوجها ٠

---

(٩) سمعت أقوالا مفادها أن الحاضرين أثناء عقد النكاح قد يكونون هم السبب في ربط العريس عن زوجته «عدم قدرته عن اخذ كشفة وجه عروسه» فيقولون أن بعض الاعداء او الذين يكرهون العريس يربطون كلتا يديهم ببعض اثناء « قراية الفاتحة » خلال عقد النكاح ولهذا يتشدد أهل العروسين بمراقبة المحتفلين اثناء العقد فيطلبون منهم بسط ايديهم٠
وكثيرا ما يلجأ اهل العريس في هذه الحالة الى المشعوذين لفك رباط العريس ٠

الشاعر الشعبي
عبد اللطيف العجاوي

لا يستعير عبد اللطيف العجاوي محابر الاخرين ، ولا يستعمل اقلامهم ، ذلك لأنه مثال القريحة الشعبية المتوقدة والنموذج الذي يحتذيه جيل من هواة الغناء الشعبي ورواته . انه ينتمي لتلك الأجيال من الشعراء الشعبيين الذين يصوغون أشعارهم الشعبية بحيث توافق مزاج الجماعة الشعبية وتتمشى مع ميولها ورغباتها ، والتي تصبح بمجرد تلاوتها أمام الجمهور جزءا من تراث الجماعة ومادتها المتوارثة . ومع تحفظنا بحفظ حقوق امثال العجاوي من مشاهير الشعراء الشعبيين الذين لم نسمع عنهم أو أولئك الذين لم تمتد يد التدوين لتراثهم الشعري الشعبي فانه يمكن أن نضع في مرتبة شاعرنا الشعبي شعراء تناقلت الجماهير بعضا من اشعارهم من أمثال : راجح السلفيتي ، المعروف في الوسط الشعبي باسم « الراجح » ، فرحان سلام ، العراني ، حافظ موسى ، محارب ذيب ومحمود زقوت . ومن جنوب فلسطين الشاعر الشعبي الذائع الصيت : كاشور .

ويجوز لنا أن نصنف العجاوي كأبرز فنان شعبي في **منطقتي وسط وجنوب فلسطين** اذا اخذنا بالاعتبار المقدرة على صياغة الاشعار الشعبية وأدائها أمام جمهور في احتفال شعبي حاشد ، وذلك اذا حددنا فترة ما بعد العقد الرابع من هذا القرن . وقد استثنيت شمال فلسطين ، على اعتبار أن هذه المنطقة لم تمسح فولكلوريا ، او على الاقل لم تنشر دراسات بالعربية عن شعرائها الشعبيين .

ويقول العجاوي انه من مواليد **قرية طمرة بقضاء الناصرة** وذلك في حدود عام ١٩١٠ حيث كان والده يعمل بالمزارعة هناك . وما لبث أن انتقل مع والده جنوبا الى قرية عجة بقضاء جنين ومن اسم هذه القرية اشتق لقب شاعرنا الشعبي . ولم يتلق العجاوي تعليما مدرسيا منتظما، وانما تعلم مبادىء القراءة والكتابة اثناء الأحداث بين عامي ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ وعندما كان معتقلا في المزرعة بالقرب من عكا ، في فترة من فترات



النضال الشعبي ضد الانتداب البريطاني على فلسطين ٠

وبدأ العجاوي يغني لجمهور صغير يشمل أهل الحي وهو ابن ست عشرة عاما ، ثم كانت البداية أمام جمهور كبير في «يعبد» ليغني في عرس شعبي ٠ وقد ركب مع المحتفلين الى تلك القرية على ظهر جمل وفي هودج النساء ، وكان هناك نجاحه الاول الذي جعله يرسخ قدمه في عالم الغناء الشعبي ٠

ويحدثنا العجاوي عن زملائه وأقرانه من الفنانين الشعبيين الذين كان يحيي معهم سهرات الافراح الشعبية ويكشف عن اسماء مشاهير الفن الشعبي في الاربعينات من هذا القرن وما قبلها ، اولئك المشاهير الذين لم تصلنا نماذج من اشعارهم، او معلومات عن حياتهم والظروف التي كانوا يمارسون فيها الغناء الشعبي .

ويقول انه تتلمذ على شعراء مشاهير من امثال فرحان سلام . ولا يزيد على القول بأنه اي سلام ـ كان يحيي سهرات الافراح الشعبية في حيفا والناصرة والمزينة . كما تتلمذ على يد « ابو خليل الشعبي[1] » و « ابو حسين العبليني[2] » و « مصطفى الحطيني[3] » .

أما الفنانون الذين احيى معهم حفلات الافراح الشعبية فيذكر لنا منهم عددا وافرا يعطي بعض الضوء على مشاهير زجالي الافراح الشعبية في منطقة شمال فلسطين ، والذين يستحقون من الدارسين مزيدا من العناية وجهود الكشف عن أشعارهم وسيرهم . يذكر العجاوي من هؤلاء :

توفيق الريناوي ـ الرينة ـ الناصرة ، فرحان سلام ، رشيد ـ مجد الكروم ، عابد ـ البعنة ، ابو خليل الطيراوي ـ الطيرة ، ابو خليل الشعبي ـ شعب ، عبد اللطيف ابو علي الحفيري[4] ، راجح السلفيني ـ سلفيت ، حافظ موسى ـ السنديانة ـ حيفا ، عبد الفتاح صالح ـ برقين ، نافع حسن سمارة ـ برقين توفيق النمر ـ برقين ، ابراهيم العراني ـ عرانة ـ جنين ، أبو توفيق الجبعي ـ جبع جرار .

وقد شملت مجموعة البلدان التي غنى فيها العجاوي في مناسبات الافراح الشعبية كلا من : « الطيرة ، قينازة ،المزار عبلين ، شفا عمرو ، البصة ، المنشية ، نعليا ، ترشيحا ، الناصرة ، الرينة ، كفر كنة وقرى الشعراوية بلواء نابلس » . أما بعد عام ١٩٤٨ فساهم شاعرنا باحياء حفلات في سلواد ، سنجل عارورة ، اجلجلية ، مزارع النوباني ، دير دبوان ، المزرعة الشرقية ، ترمسعيا ، بورين ، سلفيت ، بديا ، كفل حارس ، دير استيا ، طلوزة ، وبيت فوريك » .

وعندما دونت هذه الملاحظات عن حياة واشعار العجاوي كان الرجل قد بلغ مراحل حياته النهائية ، وكان قد قرر اعتزال العمل في مجال الغناء

(١) من شعب .

(٢) من عبلين .

(٣) من حطين .

(٤) يقيم حاليا في عرابة ـ بجنين .

الشعبي ٠ ومع ذلك فان الرجل ما زال يحتفظ بحلاوة صوته و «نهمة»(٥) الفنان الشعبي الاصيل ، وما زالت أحاسيس الصبا تجري في عروقه ، ولنسمعه يؤكد ذلك :

كنت زهرة ورد من فوق غصناي (٦)
وأتى المشيب بعد الشيب غصنا (٧)
واما الان في بحر الفن غصنا (٨)
وجرى بعروقنا دم الشباب

كما أن الشاعر ما زال يحس بثقة لا متناهية بجمال واصالة فنه ، ونحس بذلك الموقف السامي للفنان الذي لا يؤاخذ الصديق عند الزلة والذي توازي ابيات العتابا التي يقولها معدن الذهب :

صديق غلط ما يوما عاتبته (٩)
ولا اقدامنا بتهجر عتبته (١٠)
داعيكم كل من بسمع عتابته
بقدرها معادن من ذهب

ويمكن أن نعتبر البيتين السابقين من ابيات العتابا من خيرة ما روي من الشعر الشعبي على اعتبار أن الشطرات الثلاث الاولى من كل بيت تشتمل كل منهما على كلمة ختامية تماثل الكلمة الختامية في الشطرتين الثانية والثالثة وتختلف عن كل منهما في المعنى ، وهذا ما يسمى بالجناس الكامل ٠ ولو اخذنا البيت الثاني على سبيل المثال نلاحظ أن هناك الكلمات « عاتبته ، عتبته وعتابته » ويخرجها المغني بنفس اللفظ بينما معنى الاولى مأخوذ من العتاب والثانية عتبة البيت اما الثالثة فهي العتابا – أحد ضروب الغناء الشعبي٠ولا يضطر العجاوي للحشو، بل يضع الكلمة المناسبة في اعطاف البيت بكل سهولة ويسر ، وتأتي عنده القفلة مرتبطة بصميم المعنى الذي يرد في الشطرات الاولى مما يؤكد مقدرته على الاداء الفني القويم دون الحاجة الى الصاق شطرة او كلمات مفتعلة في القفلة ٠ ولنقارن بين هذين البيتين : البيت الاول لشاعر شعبي هاو والثاني للعجاوي :

يقول الهاوي :

خذيني أكون بيديك أنا اميل
وكيف ما تميل جعودك (١١) انا اميل
وخذيني اكون لعينيك أنا اميل
الكحل مشان(١٢) تحياه(١٣) الشباب

أن الشطرات الثلاث الاولى من البيت تعبر عن رغبة الشاعر في أن يتمايل بين ذراعي حبيبته وان يهتز اهتزازات شعرها وأن يكون كحلا لعينيها !!! ، اما الشطرة الرابعة فجاءت مفتعلة وملتصقة التصاقا غير طبيعي بالشطرات الثلاث الاولى اذ ليس من المعقول أن يصل الشاعر لدرجة كونه كحلا في عيني حبيبته

---

(٥) اسلوب في الاداء ٠
(٦)غصن ٠
(٧) من غصة ٠
(٨) من غاص يغوص ٠
(٩) من العتاب ٠
(١٠) من عتبة البيت ٠
(١١) الشعر المجعد ٠
(١٢) من اجل ٠
(١٣) تحية ٠

لمجرد رغبته في تحية الشباب . ولو أن الكلام انتهى عند نهاية الشطرة الثالثة لما احس السامع او القارىء باي بتر في المعنى . ولنلاحظ في البيت الثاني - بيت العتابا الذي قاله العجاوي ، كيف أن الشطرات الاربع تتناغم معا لايصال المعنى الواحد :

كونوا للوطن جمل سواعد
وحلوة بشبابنا برمة(١٤) سواعد
وان جاء العيد ما بنعرف سوى عيد
النصر واعلامنا تخفق طرب

ويظهر العجاوي في ثنايا اشعاره الشعبية وكأنه يغترف ما يقوله من معين لا ينضب ، فهو يستطيع أن يكمل بيتا بدأه غيره على التو . وفي هذه الطلعة يتناوب العجاوي مع شاعر اخر ثم لا يلبث أن يبادر شاعرنا الى الدخول الى الحلبة بعد أن يلقي منافسه الشطرتين الاولى والثانية من البيت فيكمل هو بشطرتين تكملان المعنى وتأتيان على نفس الوزن واللحن .

يبدأالعجاوي بهذا البيت في الطلعة :

انت بتحكي بالاصول
يا واسع الانتشار
واجبنا نغني ونقول
أهلا وسهلا بالزوار

ويرد الشاعر المنافس :

ليليتنا يا ليلة عز
ع ارقاب الاعدا بنتشز(١٥)
طفلنا اليرضع(١٦) ع البز(١٧)
ما بيهمه(١٨) شرار النار

ثم يقول العجاوي :

جيناكم احنا بماسه(١٩)
كله من أجل الحماسة
معروفكم على راسي
او هذا عطر من العطار

ويرد الشاعر المنافس :

الليلة بدي اناديك
وبدمي أنا فاديك

وعلى الفور يكمل العجاوي :

ابشر أجاك التوماتيك
وع الأعدا بطلق النار

الشاعر المنافس :

سلم لي صوتك يا عم
يا زايل عن قلبي الهم

يكمل العجاوي :

لا تحمل يا زميلي هم
قدامك بطل الشعار

الشاعر المنافس :

أما ليلة ليلتنا
واكبر حفلة حفلتنا

يكمل العجاوي :

واشهد يا جماعتنا
زميلي بسوىله(٢٠) مليار

وهكذا فان الشاعر لا يستعير اقلام الاخرين ومحابرهم فحسب ، بل يضفي من فنه وقدرته على الارتجال مغطيا قصورهم .

---

(١٤) برمة الساعد : قوة عضلاته .
(١٥) نحز .
(١٦) الذي يرضع .
(١٧) على الثدي .
(١٨) لا يهتم .
(١٩) بفترة رخاء .
(٢٠) يساوي .

الرقى والتعاويذ

ابراهيم السنجلاوي

الرقي والتعاويذ قديمة غاية القدم ، ولا يمكن أن يصل الباحث الى اصولها وبدايتها لانها من اقدم الاثار التي خلفها الانسان ، فهي مرتبطة بالسحر والسحر كما هو معروف مغرق في القدم ، فهو علم ما قبل عصر العلوم كما يقال . والرقي موجودة في كل زمان ومكان ولا يزال لها الى اليوم أشياع وانصار في مختلف البيئات ، على الرغم من غلبة العلوم المادية على كل ما هو روحاني بحيث اصبح الانسان لا يؤمن الا بكل محسوس ملموس .

والرقية بالضم هي العوذة ، والعوذ هو الالتجاء، فالرقى والتعاويذ هما شيء واحد لا يمكن الفصل بينهما بدقة . وتكون الرقية عادة مجموعة من الكلمات او التراكيب غير المفهومة حتى من قبل الذين يلقونها ، وغالبا ما تكون مسجوعة ، وقد تكون شرابا او ذرورا مستخرجا من اصول نباتية او حيوانية او مادية وقد يصحب هذا الشراب طقوس معينة وتقرأ عليه بعض التعاويذ .

والحقيقة أن توضيح الصلة بين الرقى والسحر ضروري لفهم كثير من الرقى والتعاويذ ، ففهمهما لا ينفصل عن فهم السحر التعاطفي بشقيه : التشاكل والاتصالي وهما يمثلان اساس السحر القديم ويفسران معظم معتقدات الانسان القديم وسلوكه . هذا الى جانب كثيرا من الرقى والتعاويذ تعتمد على قوة الالفاظ ذاتها المستخدمة في التعاويذ ، ايمانا بسحر الكلمة وقوتها ، وهذا ما يجعلها تنطوي تحت عالم السحر ، لان فعالية الكلمة كانت اساس السحر وسلاح الانسان في عصوره الاولى ، حيث كان بيت من الشعر ينزل القمر من السماء، ويفتح باب الكهف بكلمة ويقتل الساحر خصمه بمجرد معرفة اسمه . وهذا ما يفسر سبب اخفاء بعض رجال القبائل اسماءهم في وقتنا الحاضر . ولم تفقد الكلمة قيمتها حتى بعد ظهور المسيحية فقد كانت تمثل مبدأ الخلق الثالث والمسيح هو الكلمة الالهية ، وحتى الآن فللكلمة اهميتها وان تراجعت قوتها السحرية



ففيهـــا يحسن الناس العـــراك والمشاحنات وبهـا تقام النظم وبهـا يؤمن الناس اطيب الايمان ، وهذا ما دفع سارتر الى الدعوة لتجريد اللغة من السلاح • وبعد هذه النبذة التي توضح الطريق امامنا نتمكن من تفسير العديد من الرقي والتعاويذ السائدة في تراثنا الشعبي •

يمكن أن نقسم هذه الـــرقى والتعاويذ الى قسمين : ضارة ونافعة، وهذه التفرقة تمكننا أن نـــدرك بوضوح الوظيفة المزدوجـــة للرقى والتعاويذ • ولعل اشهر التعاويـــذ والرقى التي تنتشـــر في اوساطنا الشعبية تعاويـــذ الحـــب ، وطرد الخوف والشياطـــين ومعالجة بعض الامراض وجلب البركـــة والحاق الضرر بالاخرين •

ففي رقية الحب التي تكون عـن طريق عقد العقد وقراءة التعاويـــذ عليها تلجأ المرأة الى عقد عقد في خيط وتنفث فيها بعض التعاويذ الخاصة وبهذه الطريقة يرتبط بها حبيبها ولا يستطيع الافلات من حبها الا بحل هذه العقد وقد أشار عمر بن ابي ربيعة الى هذا النوع من الرقي بقوله :

زعموهـا أنـها لي عقـدت
عقـدا يا حبـذا تلك العقـد

وقد تستخدم هذه الطريقة لايقاع الضرر بالاخرين كما تفعـل بعض العجائز في ساعة عقد القران بعقـد عقد[1] في خيط وتقرأ بعض التعاويذ فيفقد الرجل فحولته ويؤول الزواج الى الفشل المحقق . وهذا النوع من الرقى يقـوم على اسـاس السحر التشاكلي ، بمعنى ان الشبيه ينتج الشبيه فالعقدة تعني الربط والشيء المربوط لا يفلت الا بقوة تخلصه ، ومثل ذلك ما نعتبـره من القواعد السلبية في السحر او (التابو) ان يمتنع الناس عن تشبيك اصابعهم في عقد القران حتى لا تتشابك امـور الزواج وتنتهي الى الفشـل . وفي الرقية التي تسمى (بعشبة اللجاه) يأتي العاشق بهذه العشبة ويضعها على محبوبته التي تتأبى عليه وبمجرد وضعها عليها تستسلم له بعد تمنع وتنقاد بعد تأب وهذا مبني ايضا على مبدأ الشبيه ، ذلك أن انثى السلاحف لا تمكن ذكرها منها حتى يأتي بهذه العشبة ويقدمهـا لـها دليلا على اخلاصه . وفي المقابل قد تأتي المرأة التي يترفع عليها زوجها بمخ حمـار وتحرقه وتذيبه في سائل تقدمـه لزوجها وبمجرد أن يشرب يصبـح اكثر ميلا الى التساهل واللين مـع زوجته فيتغاضى عن هفواتها ونزواتها ويعمى عن عيوبها ، اعتقادا منها ان صفات المطاوعة والبلادة في الحمار ستنتقل الى هـذا الزوج ، وبفضل هذا النوع من السحر التشاكلـي نستطيع أن نفهم كثيرا من رقى الحب، ففي رقية رأس الغراب والشعير يأخذ العاشق رأس غراب ويفـرغ دماغه ويجعل موضع الدماغ شيئا من تراب الموضع الذي تجلس فيها المرأة التي يريد ، وشيئا يسيرا من زبل الحمام ويجعل في ذلك سبع شعيرات ويدفنه في موضع ند ، فاذا نبـت الشعير طول اربع اصابع اخذ منه ثم دلك ومسح به على وجهه وذراعيه .

ثم استقبل به تلك المـرأة ولم يكلمها فانها تسعى في اثره ولا تطيق الصبر عنه ، ففي هذه الرقية يرتبط نمو الحب بنمو حبات الشعير ، ولهذا فهو يحرص أن يضع عليها الزبل وان يدفنها في موضع ند لتتمكن من النمو فهو يقوم بتمثيل عملية النمو لان الشبيه ينتج الشبيه . ومما يوضح ذلك اكثر الرقية التي يعالج بهـا « الثواليل » وهي بثور تخرج عـلى الجلد ، حيث يأتي العارف بهـذه الرقية برأس بصل كبير وبعدد مـن حبات الشعير تماثل عـدد الثواليل ويبدأ بأكبرها وأسبقها ظهورا على الجلد ويغرس فيه حبة من الشعير ويتلو عليها بعض التعاويذ التي يمتنع عن الافصاح بها للاخرين ثم يأخذ هذه

---

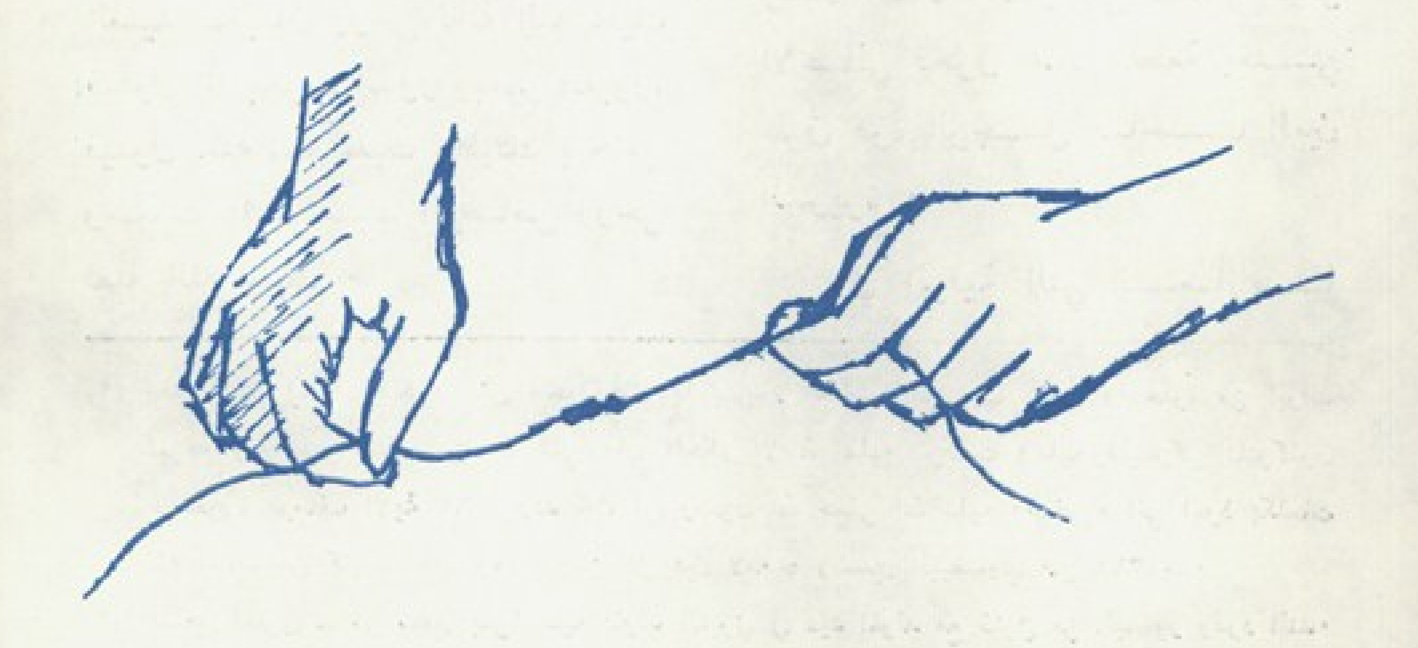
[1] وقد اشار القران الى ذلك في سورة الفلق (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد .

الحبة ويغرسها في رأس البصل ويكرر فعله هذا مع بقية الثواليل ويكون ذلك بعـد عصر يـوم الخميس وفي صبيحة يوم الجمعة يذهب الى شجرة تين بعيدة لم تسمع الاذان ويتلو عليها بعض تعاويذه ثم يذهب الى مقبرة دارسة ويدفن بها رأس البصل وبهذا تتلاشى الثواليل عن الجلد • والحقيقة انه هنا قد صنع في حبات الشعير عكس ما صنعه في رقية الحب السابقة فقد هيأ لها الموت لان الشعير لا ينمو في البصل كما انه لا ينمو في تربة المقابر الجافة الدارسة وبهذا الصنيع يقتل الثواليل كما قتل حبات الشعير المساوية لها بالعدد •

وفي رقية التخمير الشائـعة في اوساطنا الشـعبية ، حيـث تعمد العروس يوم زفافها عند دخولها بيت زوجها الى الصاق قطعة من عجين على باب البيت • وتفسير ذلك أن الخميرة هي اخر ما يبقى من العجين وبهـا تستمر هذه المادة المقدسة ، وهـي تفعل ذلك لتصبح كهذه الخميرة سببا في استمرار الحياة والبقاء • ومثل ذلك ما يصنع مع الدابة التي تشتري لتكون اصلا لثروة كثيرة واستمرار عظيم •

والمرأة عند ولادتها تنصح بأكل السمك حتى يتكاثر نسلها كتكاثـر السمك ، وقد تطلب المرأة حين ترغب أن يكون لها اولاد من احد الرجـال من اصحاب العائلات الكبيرة في العدد أن يمنحها جزءا من ثيابه لتصنع منه ثوبا لطفلها ليرزق طول العمر وكثرة الذرية ،وهذه الرقية تجمع بين مبدأي السحر التشاكلي والاتصالي ، نظرا لان الثوب جزء من الرجل ، فكأن بركة هذا الرجل وقوته في التكاثر تبقى في الثوب وتنتقل الى الولد •

وهناك رقى وتعاويذ مضادة للعين



الشريرة ، والاصابة بالعين امر اتفق عليه العقلاء(٢) ولا يتوقف الامر في هذه التعاويذ على قوة الالفاظ المستخدمة في التعازيم ، بل هناك عوامل اخرى تدخل في اعمال التعويذه ولها قوتها السحرية ، كما يصنع في تعويذة الاصابة من العين · يأتون بشعير مقرى(٣) وقطعة من الشب الابيض تحرق مع الشعير ويبخر بها المصاب ويطاف عليه سبع مرات ويصحب ذلك هذه التعويذه « بسم الله الرحمن الرحيم عين الحسود فيها عود ، عين الولد بها وتد ، عين الجار بها نار ، عين الضيف بها سيف ، عين المرأة بها مرارة ، عين البنت بها حنت ، والعين اللي ما تصلي على النبي تعمى وتزول ، وهناك تكملة لهذه التعويذة تقول (لقانا السيد سليمان قال وين يا عين يا عوينيه فتقول العين انا للشب الشجيع انا للطفل الرضيع انا للجمال تحت الحمال انا للمرأة المطيعة ، فيقول السيد سليمان روحي لعنة الله عليك فتقول انا بخرب الدور وبعمر القبور، فيقول لعنة الله عليك حطيتك بنحاس وسبكت عليك سبك الرصاص روحي لعنة الله عليك ·

ثم تسكب المرأة التي تقوم بهذا العمل الماء على قطعة الشب والشعير المحترق وتخرج شهيقا عميقا وتقول انطفي يا عوينه كما انطفت الجميرة ثم ترمي بقايا الشعير والشب في مفترق الطرق · ونحن نرى ان الاصابة بالعين لا تصيب الا كل شيء حسن وجميل ، وهذه التعويذه الى جانب اعتمادها على القوة السحرية في الكلمات فهي تعتمد ايضا على جانب تمثيلي لاطفاء العين الحاسدة فقطعة الشب واحراقها بالنار يمثل اشتعال الحسد في قلب صاحبها ، اما سكب الماء عليها فهو يمثل القضاء عليها ، كما اننا نرى أن كلمات التعويذة تناسب هذا العمل التمثيلي · وقد تؤخذ قطعة من ثوب الرجل صاحب العين الشريرة من غير علمه وتحرق ويبخر بها المصاب وهذه الحالة تفسر على مبدأ السحر الاتصالي فحرق هذه القطعة يعني حرق قوة الرجل صاحب العين الشريرة ·

وفي الرقية التي يستعملونها

---

(٢) وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله شيء أن الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون « سورة يوسف الاية ٦٧ » وقد جاء من رسول الله صلي الله عليه وسلم « اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامه » (تفسير البيضاوي ص ٣١٩) ·

(٣) الشعير المقرى ـ هو شعير يقرأ عليه المولد النبوي في عيد المولد مع قليل من الباخور وعود الند·



لعلاج ما يسمى بالحزاز(٤) حيث تقوم في علاج هذا المرض امرأة اخوالها من اعمامها تتفل على الحزازة ثلاث مرات وتدلكها بيدها وتقول صبحك بالخير (اذا كان الوقت مساء) • يا حزازه يا قوقه(٥) على راس العود محطوطه اسوق عليك الله وجاه الله ترحلي من هذا المكان وتكرر هذا الصنيع ثلاثة ايام فتذهب الحزازه • وهذه الرقيه تعتمد على القوة السحرية التي تعيش في صميم الكلمة المنطوقه فالكلمة السحرية لها مثل هذه القوة من حيث انها تزيل الشر كما أن اللمس يدخل عنصرا مساعدا للكلمة بخاصه أن المرأة نقية النسب ، حيث يكون للمسها ولعابها قوة سحرية •

وهناك سعال شديد يصيب الصغار والكبار ويسمى (بالكحة الذيبية) ويدعي كثير من الناس أن هذا السعال يشفى اذا قام رجل تمكن من قتل ذئب بذبح المصاب بقفا السكين ، وهو بهذا العمل التمثيلي للذبح يكون قد تمكن من ذبح السعال كما تمكن من ذبح الذئب فالشبيه ينتج الشبيه •

على ضوء هذا المنطق المغلوط في الرقى والسحر • وقد تسلق المرأة قمحا عندما تبدأ اسنان طفلها بالبروز ، وتجلسه في فناء الدار وترش هذه

---

(٤) مرض جلدي يظهر بشكل مستدير على البشرة ويتهيج عند حكه فيبدو محمرا •

(٥) قوقه ــ العاطلة

السليقة حوله وياتي الدجاج ليأكل منها ، وهي تصنع ذلك ليرزق ابنها الثروة الكثيرة التي تفيض حوله على الاخرين الذين يلتفون حوله كالدجاج يرجون خيره ويشكرون بره واحسانه.

ومن الرقى التي يقصد بها الحاق الضرر بالاخرين ، كأن يعمد رجل أكل الحقد قلبه الى حفنة من تراب احدى المقابـر ويذروها على راس الرجـل خصمه في يوم زفافه ، ايمانا من أن تراب المقابر سيجعله كالميت تماما .

ومن الرقى ما يكون ادوات أو أواني مثل (طاسة الورثه) (وطاسة الروعـه) وطاسة الورثه هـي قدر تورث عـن الآباء والاجداد فاذا مـا اصاب الطفل (ابو دغيم)(٦) يؤخذ من سخام القدر ويمسح به على مكان الورم فيشفى الطفل وهذا مبني على أن هـذه القدر قـد عاصرت الآباء والاجـداد ، وثبتـت عـلى الدهـر واحتفظت بببركتهم فاكتسبت هذه القـوة السحريـة القادرة على ازالة الورم ، فالطفل يكتسب منها القوة والثبات والقدم .

اما طاسة الروعه فهي اناء صغير يكون عادة من النحاس وقد كتب عليه آية الكرسي واسماء الله يسقى منها المصاب بالروع والخوف عند صفار الشمس في الصباح أو المساء ويقول بسم الله وبسم الرعبه فيذهب عنه الروع .

وهذا يدعونا الى القول بأن هناك تعاويذا ورقى لها صبغة دينية ، ففي رقية (اللجام)(٧) التي تعمل على الاغنام من اللصوص والذئاب حيث يؤتى بسكين ويقرأ عليها آية الكرسي وآيات اخرى ثم توضع في غمدها فلا يتمكن اللصوص من رؤية الاغنام ما دامت السكين في غمدها ، وهذه الرقية وامثالها قد اكتسبت مسحة دينية في اوساطنا الشعبية ، حيث استبدلت هـذه الاوساط الشعبيـة الكلمات والتعاويذ السحرية القديمة بكلمات الله اعتقادا منها أن لكلمات الله من القـوة مـا تفوق كلمات التعاويـذ والتعازيم الوثنية في الوقـت الذي يوضح الاسلام موقفه من ذلك فكلمات الله ليست رقى ولا تعاويذا ، وانما هي نظم وتشريع وهدى ، كما أن الاسلام يرد الخير والشر الى الله لا الى التعاويـذ الا أن الفكر الشعبـي لا يتحول عن ايمانه بقوة الكلمة السحرية وأن استبدلها بكلمـات الله نتيجـة لتأخره بالدين ، ومع ذلك فان الهيكل العام لمثل هذه التعويذة لا يخـرج عن مبدأ الشبيه الذي ينتج الشبيه ، فاغلاق السكين يعني اغلاق الرؤيـة

(٦) ورم يصيب الطفل في فكه .

(٧) اللجام : بمعنى المنع والحفظ .

أمام الاعداء وسد الطريق عليهم ومثل ذلك ما يقال رقية حل الخلاف بين الزوجين ، حيث يأتون ببيضتين بعد سلقهما وقشرهما ويكتب على الاولى (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) وعلى الثانية (والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) ٠

يكتب على كل منهما (قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين) ٠ وتعطى الاولى للمرأة والثانية للرجل ويعطى كل منهما لصاحبه البيضة التي أعطيها يأكلها فان ذلك يحل الخلاف بينهما ٠

وان استبدلت الكلمات في هذه الرقية بكلمات الله الا ان هذا لا ينفي ايمان الناس بقوة الكلمة فهو ايمان انساني قديم استعمله الانسان في تحقيق معظم أغراضه ، وكما قلت سابقا ان استبدال الكلمات في التعويذة بكلمات الهية لا يخرجها عن طابعها السحري القديم ،فاختيار آية السماء وآية الارض اختيار يعبر عن الرجل والمرأة فالسماء والارض رمزان ضاربان في القدم للرجل والمرأة وأخذ المرأة للبيضة التي كتب عليها والسماء بنيناها في البداية وأخذ الرجل البيضة التي كتب عليها والارض فرشناها يمثل الخلاف بينهما ، اما استبدال كل واحد منهما بيضة الآخر فهو يمثل حل الخلاف وحلول الوئام ٠ وكما ترى فالرقية لا تخلو من عملية تمثيلية فالسماء في الاصل هي الرجل ، أما الارض فهي المرأة ، وقد حل الخلاف بعد أن وقف كل منهما في مكانه الصحيح ، وهذا ضرب من السحر التشاكلي ٠ ونكتفي بهذا القدر من الرقي والتعاويذ لان المقال لا يتسع لاكثر من ذلك ٠





طلي علي مـن الشباك   شوفي سنسلـة موسي

شوفي وطـلي الحمر   بزلـق عنـه المدموس


عالم
الفنون
الشعبية

قصصنا الشعبي

تاليف : الدكتورة نبيلة ابراهيم

عرض ومراجعة : عمر الساريسي

تضيف الدكتورة نبيلة ابراهيم ـ استاذة الادب الشعبي بقسم اللغة العربية بجامعة القاهـرة ـ الى ما ترجمته وما وضعته من كتب وبحوث في الادب الشعبي تضيف اليوم هذا الكتاب ، الذي صدر عن دار العودة في العام الماضي والذي يقع في ٢١٥ صفحة من القطع المتوسط ٠

وفي هذا الكتاب تلاحظ المؤلفـة ان القصص الشعبي في مجتمعاتنـا العربية قد أخذ يكثر من قص الحكاية الشعبية على حسـاب الحكايـة الخرافية ، فجعل يقلل من الحكايات التي تروي عن خاتم سليمان وعـن السحر والجن والعفاريت وامثالها وفي الوقت نفسه يصغي لما يحكي شيئـا عن الواقع وهمومه ومعاناته ٠

وتشير الى السبب في ذلك فتجده في ارتباط الحكاية بنفسية الشـعب الذي يفرزها ، وهو محدود جدا في حكاية الخرافة التي لا يبدو عليها انها تتصل بمكان او زمان محـددين ، ولكنه واضح الدلالـة في الحكايـة الشعبية التي تعكس الواقع بكل ما فيه من انباض ٠ وتصف جـو الاولى بالرومانسية لما فيه من ذاتية وعيش مع الاحلام وتصف الثانية بالواقعية التي يعيشها الناس والحياة ، وهذا هو المسار الذي تركز عليه وظهر على عنوان الكتاب ٠

ولم تقف الدكتورة عند حـد التفريق بين هذين اللونين من الحكاية من حيث ابطالهما وعالم كل منهما ، فهذا قد قرأناه في كتابها عن اشكال التعبير في الادب الشعبي وفي ترجمتها لكتاب الحكاية الخرافيـة ، لفون ديرلاين ، ولكنها تقارن بينهما في عدد الوحدات الوظيفية في كل منهما ، وفي محتواهما ٠ وفي علاقة كل نمـط منهما بنفسيه الشعب الذي نقلهما ٠ وهذه هي مواطن التجديد في الكتاب ، خاصة وانها تكمل ما بدأه الفولكلوري الروسي بروب صاحـب الدراسة المشهورة عن مورفولوجية الحكايـة الشعبية والتي ظهرت عام ١٩٢٩ ، ولم تشتهر الا في الخمسينات ٠ لكن

هذه الدراسة لم تقدم سوى التحليل البنائي والشكلي العام للحكاية الخرافية ، اما المؤلفة فقد اضافت الى ذلك هنا تفسيرا لهذا التحليل ، ثم كشفا للعلاقة العضوية بين الفن الشعبي وحاجة الشعوب اليه ٠

وقد تتضح من ذلك كله الفصول الثلاث الرئيسية في الكتاب ، اولها عن المناهج المعاصرة في تصنيف القصص الشعبي وهي المناهج التقليدية القديمة ثم المنهج البنائي ثم المنهج المورفولوجي ٠ وثانيها عن حكاياتنا الخرافية والشعبية في ضوء التحليل المورفولوجي الذي يعنى بالوحدات الوظيفية ٠ وثالثها عن وظيفة كل من هذين النوعين من الحكاية وما تقدمه من اهداف التسلية وتحقيق الاحلام او اهداف التنفيس عن بعض الالام الاجتماعية والسياسية ٠

أن الدكتورة تلاحظ في الحكاية الخرافية احداثا متبعة ثابتة ومعروفة تسميها بالوحدات الوظيفية وهي التي تحدد مسار حياة بطل الحكاية وسير احداثها ، وتجد أن الحكاية الشعبية لا تحمل بالضرورة عدد وترتيب ونوع هذه الوحدات ، لانها لا تنطبق على واقع حياة الناس وعلى طبائع الاشياء ٠ فتكرر في اكثر من موضع أن شعوبنا كانت تمر ببعض مراحل تذكر الفقر فتتسلى بحكاياتها الخرافية بروح رومانسية حالمه ، لكنها وقد اخذت تعيش حياتها وواقعها بما فيهما من الام وامال فقد اتجهت الى الواقع الملموس والمحسوس ٠

وتفيض في الحديث عن حكايات الواقع فتقسمها الى حكايات واقع اخلاقي ، وواقع اجتماعي ، وواقع سياسي ، وواقع غيبي ، وواقع هزلي ٠

وقد يحسب القارىء والمستمع للحكايات التي تدور على السنة القصاص في مجتمعنا انها تحفل بحكايات الغول والسحرة والجان مثلما تحفل بحكايات الواقع والوانه٠ وقد يكون من الحق أن يقال ان تصديق اللون الاول من الحكايات قد غدا اقل بحيث يقتصر على الاطفال تسلية ومطالعات ، ولكنه ايضا لم يستبعد من احاديث الكبار لاتخاذه اداة تعليمية لضرب الامثال ٠

ومع ذلك فان هذا لا ينتقص من فضل هذا الكتاب الذي يدل على سعة اطلاع على اكثر من لغة اجنبية ، كما انه قد اخضع للتحليل اكثر من خمسين حكاية ، حصلت الدكتورة على قسم كبير منها من الميادين الشعبية فنفت عنها ما تقول به البعض أن اكثر دراساتها نظرية ٠

ملف النصوص

(١)

خطرة راح شيخ البساس يحج · لمـن روح قال شيخ الفيران · تعالوا تا نروح نسلم عليه · قالت الفيران هذا عدونا كيف نروح لعنده · قال أي ما هو حج واللي خلصه قبل الحج ما نخلصش اليوم · اليوم بصبح وبمسي بصلاته والمسبحة ما بتسقط من بين إيديه · قالوا الفيران احنا ما بنروحش · روح انت وجربه · قام هاذا أجاك رايح طل من الخزق ونبز راسه الا والبس قاعد بسبح ربه وبتمتم وخطرة يبزق ع الشيطان عن يمينه وخطرة يبزق عليه عن شماله · ظرب عينه شاف الفار طالل من الخزق · قام رمى هالمسبحة وقرط حاله عليه ألولا ربك المسلم والا صار قاطع ذنبه · قام هاظا زق في الخزق وعاود ع ربعه قالو له كيف شيخ البساس انشاالله مغيرومبدل · قال اسكتو من حـاج ولكن زايد عما هو ستين قيراط ·

(٢)

واحد اطرش ومرته طرشة وبنته وامه طرش · يوم عيد رمظان راح يجيب لعياله لحمة من السوق · لاقاه واحد إله عليه بيجي مجيدي · سلم عليه وقاله · كل عام وانت سالم يا ابو علي ! قال يا فتاح يا عليم نهار هالعيد المبارك صبحت اطالب · الناس في عيد والا في دين · ما معيش · ما انيش معطيك · عاود ع الدار ·

قالت له مرته : مالك عاودت بلاش ؟ قال لاقاني ملعون هالوالدين بطلب في نهار العيد لاعنده مروؤة ولا شرف · قالت له يا ابن الناس ان كان مالقيتش اذبيحة جيب رطل لحم من السوق انت جاي تشاورني · المرة قالت لبنتها يا ابنيتي أبوك متحير شو يجيب النا عيدية · قالت يا يما انتو متغلبين في ليش ؟ ان جوزتوني لشاب راضي والا لشايب راظي ، ما هي استيرة ؟

راحت البنت لستها وقالت لها : يا ستي امي وابوي بشاوروني تيجوزوني · قالت يا حسرتي هو ما حد امغلي سعر البنات الا انا والله ماني متجوز والله من قدام هالموقدة ماني متحلحل ·

(٣)

ما هـان ولاهـان الا هالحيـاك ٠ كـل ما قبـظ مصرية برميها في هالبوشة ٠ وحدة حاططها في جورة النول عند اجريه ٠ كل ما قعد يشتغل بصير يحدي مشان يتسلى ويقـول :

رزق ايدي تحت اجري

رزق ايدي تحت اجري

سمعه ابن حرام قال : والله غير اسرقه ٠ استغيبه وطاح في جورة النول الا وهالبوشة ثلثينهاملان دراهـم ٠ اخذها وراح ٠

عقب يومين ثلاث مرق الحرامي الا والحياك بشـتغل وبحدي وبقول :

لو انه خلاها كان ملیناها

لو انه خلاها كان ملیناها

قام هذا راح جاب هالبوشة بالدراهم وعاودها مطرحها ٠ لمن قعد الحياك يشتغل حس الا والبوشة مطرحها ٠ قام صار يحدي ويقول :

قليل العقل برظيه الكلام

قليل العقل برظيه الكلام

(٤)

أفندي باقي متجوز وحدة مليحة بس يا حوف عقلاتها ثقل جوزتين ع جمل هالافندي باقي مبسوط كل يوم يجيب للدار حاجة • لمن قرب رمظان صار يحظر له • يوم يجيب قفة رز يوم جرت سمن يوم قفة قهوة يوم كيس سـكر • وكل ما جاب حاجة يقول لمرته هاذا لرمظان • هذا لرمضان • من كثر ما جاب عفش ذاق المحل • يوم من أليام مارقين اثنين جمالة وقاطرين بيجي خمس ست اجمال ومارقين من باب دار الافندي قام فلت رسن جمل وصار الجمل يخبط عليه ويعرج • جمال من الجمالة باقي متوخر ومن بعيد صاح ع رفيقه وقال : هي يا رمظان هي يا رمظان اربط رسن الجمل • مرت الافندي سمعت اسم رمظان أطلت وقالت : انو منكم رمظان • قال انا يا ستي • قالت : دخل الله هو اللي بحط حاجته عند الناس ما بوخذهاش المطرح ذيق وحوايجك مغلباتنا • تع يا عم خذ حوايجك • قال امبلى والله يا ستي هاي جمالي وانا جاي مخصوص توخذهن •

هذا ينخ الجمال باب الدار وقال وين الاواعي ؟ قالت كل اللي في هالوظه • قام هاظا وارفيقه حملوا هالجمال وراحوا • المغرب روح الافندي ع الدار • قالت له فيها خيرة اللي اجا رمظان واخذ حوايجه • قالها أي حوايج ؟ قالت : اللي قلت انهن لرمظان • عبر هاظا ع المخزن الا وهو فارغ • قالها يخرب بيتك • هذا لشهر رمظان • الله يقطع قليلات العقل[1] •

---

(1) Shmidt & Kahle,
Erzählungen aus Palästina, Götingen, 1930.

رسالة موسكو

الابداع الشعبى الاوزبكى

عرفت الفنون التطبيقية طريقها الى حياة الشعب الاوزبكي من قديم الزمان والتحف التي صنعها الاساتذة الاوزبكيون معروفة جيدا ليس داخل حدود الاتحاد السوفيتي فقط وانما خارجه ايضا . فقد استحوذ السجاد الاوزبكي الشهير والسيراميك وأشغال الابرة للوحات الفنية ، وتكفيت المعادن والحفر على الخشب والتطعيم بالصلب والتطريز بالخيط الذهبي ـ استحوذ كل ذلك على اعجاب زائري كثير من المعارض الدولية التي عرضت فيها معروضات الفنون الشعبية الاوزبكية القديمة وعلى شهادات تقدير ودبلومات شرف .

وكثيرا ما يقارنون بين اوزبكستان والماسة الموجودة في اطار ذهبي ، حين يضعون في اعتبارهم الواحات المزهرة المحاطة بالصحراء . واوزبكستان مثلها مثل الماس الحقيقي الذي يحتفظ ببريقه البكر على مر القرون . والتاريخ هنا يعلن عن نفسه في كل خطوة، حيث تنتشر على أراضي الجمهورية الاف الاثار التذكارية والمعمارية مثل البنايات الاثرية القديمة والاسواق المغطاة والموزايك والقباب اللازوردية والاقواس المزينة الرائعة والماذن المتأنقة والتكوينات المحددة للمجمعات المعمارية لمدن اسيا



الوسطى ·· هذا هو انتاج العبقرية الانسانية التي يفخر بهـا الناس والتي ترغم المرء عـلى التفـكير في الحفاظ عـلى ما تبقى مـن تراث الاولين ·

لقد أخذت الدولة على عاتقها مهمة الحفاظ على الاثار المعمارية القديمـة وترميمها في اوزبكستان ، مثلها مثل غيرها من الجمهوريات السوفييتية · وخلال نصف القرن الماضي تجمعت خبرة ضخمة في مجال الحفـاظ على الاثار القديمة · فقد درس المرممون بدقة مواد البناء القديمة ، تكنيـك اعداد الموزايك وكشفوا اسرار الالوان القديمة والسيراميك المتين · وعلى سبيل المثال تعمل في سمرقند حاليا ورش لاعداد الطوب المشكل وبـلاط القيشاني المزخرفة ، بطرق الاساتذة القدماء · وقد مكن انتاج مـواد الترميم حسب العينات القديمة من انعاش اثار معمارية اوزبكية كثيرة ·

ويعود الفضل في العمل الكبير الذي انجز في مجال ترميم الاثـار المعمارية القديمـة الى الاساتـذة الشعبيين ـ النقاشين ـ واخصائيي الرسوم الجدارية ، والحفـر على الرخام والخشـب وغـيرهم مـن اخصائيي فن البناء التطبيقي·ويرجع



توارث الخبراء للتقاليد الفنية في كثير من العائلات الى اعماق التاريخ ، الى ثلاثة او خمسة قرون مضت · فهكذا تنتقل المهنة من الاب الى الابن ومن الابن الى الحفيد · كما توجد بالجمهورية مدارس خاصة للمرممين حيث يقوم الاساتذة المجربون بتدريس مهنهم للشباب الموهوب ·

وفي حديث مع الاكاديمي وحيد زاهيدوف مدير معهد طشقند للمعارف الفنية قال : يوجد في اوزبكستان اليوم ١٣ مدرسة متخصصة للفنون التطبيقية وتراعى بشكل صارم ، خلال تطوير الفنون التطبيقية الشعبية ، الصفات المحلية لهذا الشكل او ذاك من الاشكال الفنية التي نشأت على مدى قرون · ولناخذ واحدة من المهن الفنية القديمة للاوزبكيين «انتاج السيراميك» ذلك الشيء المميز لمناطق الجمهورية المختلفة : خوارزم سمرقند ، وغيرها حيث يقوم اساتذة السيراميك بالحفاظ على التقاليد المميزة لمناطقهم · وفي ريشتان مركز فن السيراميك يجري في الوقت الحاضر وضع اللمسات الاخيرة لمصنع حديث يبنى هناك ·

وأشار الاكاديمي زاهيدوف الى أن الاهتمام في الجمهورية لا يقتصر على الحفاظ على الاشكال الفنية الشعبية ولكنه يعمل على بعث عدد منها تم نسيانه · وعلى سبيل المثال منتجات النحاس المكفت التي ترعرعت ذات يوم في كل من كوكاند ، خيوة ، كارش طشقند ، وتدهورت في بداية القرن الماضي · وقد تكونت في هذه المدن تجمعات تعمل تحت اشراف مبدعين مجربين،حيث يدرس الشباب الاشكال المختلفة من الزخارف ، وأساليب وطرق العمل مستفيدين من خبرة اساتذة الحرف القديمة ·

وليس الفن الشعبي ذا طابع محافظ · فهو يستوعب التغير في الاذواق كما يستوعب متطلبات العصر ويتلاءم معها · وأما ما يبهر في فن اساتذة الفن الشعبي فهو احتفاظه دائما بالتقاليد القديمة من جهة ، وحيويته وارتباطه العضوي بمتطلبات العصر من جهة اخرى · ويمكن الاقتناع بذلك حين يتمتع المرء برؤية الزخارف والمنمنمات المعاصرة لخان اطلس وهو نوع من الحرير الخفيف الملون وكذلك مصنوعات بخارى المذهبة وسجاد ارجوت وكارش وبخارى ·

ويتمتع العمل الابداعي للفنانين باحتـــرام واسع وســـط الجماهير الشعبية ، ويحاط المهـــرة بالتقدير والاكـــبار وينظر الى فنهـــم كعمل شعري • وقد حاز كثير من الصناع المبدعين على لقب « فنـــان الشعب الاوزبكي » • وقد انتخب كل مـــن المعماريين يوسن على موسايف مـــن فرغانهواوستا شيرين موزادوف من بخارى ، وهما اللذان قامـــا ببناء عشرات المساكن والاسواق الشرقية المغطـــاة وترميـــم الكثير من الاثار المعمارية التذكارية انتخبا كعضوين عاملين في اكاديمية العلوم الاوزبكية• ولا يفوتنا هنا أن نـــذكر أن احد شوارع طشقند الجديدة الواسعة قد سمي باسم لاستا شيرين بعد وفاته •

وخلال نصف القـــرن المـــاضي قطعت الموسيقى والرقص الشـــعبي الاوزبكي طريقا دقيقـــا وهاما ففي القرن التاسع عشر تدهورت الفنون الغنائية وفنون الرقص العريقة التي ولدت ايام الاوزبكيـــين الاوائل • ولكن بعد ثورة اكتوبر تغيرت ظروف حياة الشعب الاوزبكي بشكل جذري، وهكذا تغيرت وبعثت فنون الرقص والغناء من جديد • وابدعت اغنيات ورقصات جديدة ترتكز على التقاليد الوطنية وتعكس بشكل كامل حيوية ومعدلات الحياة الجديدة للشـــعب الاوزبكي •

وقد قام فنانو فرقـــة باخور « للرقص الشعبي وفرقة ليازجي » الاستعراضيـــة الغنائيـــة بتقديم عروضهم بنجاح كبير في كثـــير من البلدان • وتوجد في الجمهورية الان مئات التجمعـــات الفنية للـــرقص والغناء ، وفرق الالات الشعبية ، من المحترفين والهواة • (هذا ويوجد في اوزبكستان مصنـــع رائع ينتج الالات الموسيقية لشعوب الشرق) •

أما الكونسرفتـــوار الاوزبكي ، ومعهد الفنون المسرحية ، والمدارس الخاصة للموسيقى والرقص فتقـــوم بتخريج الفنانـــين الشباب الذين تفتحت امامهم اسرار فنـــون الغناء والرقص الشعبية عاما بعد عام •

وهكذا يجرى بدأب الحفاظ على الفن القديم للاوزبكيين الاوائـــل ، الذي يعكس السمات الذاتية والحكمة التي يتمتع بها هذا الشعب •

مجلة الفنون الشعبية

تفتح صفحاتها

لدارسي الفولكلور المحلي والعربي على حد سواء وترحب بأبحاث الكتاب في الأردن وكافة أرجاء الوطن العربي • ويمكن أن ترسل الدراسات مشفوعة بالرسوم أو بدونها متناولة أي ملمح من ملامح الحياة الشعبية العربية في كل مكان من الوطن العربي ، بما يبرز الطابع الوطني والثقافة الشعبية الأصيلة للانسان العربي • كما ترحب المجلة بنشر التقارير عن النشاط الفولكلوري في الوطن العربي سواء كان ذلك النشاط من جانب الباحثين المتخصصين أم من جانب أجهزة البحث الفولكلوري الرسمية في أقطار الوطن العربي •

يرجى ارسال المواد مطبوعة على الآلة الكاتبة أو بخط واضح وعلى وجه واحد من الورقة •

المراسلات :

سكرتير التحرير ص•ب : (٦١٤٠) عمان ـ الاردن

Miss Siyam surveys marriage traditions that were eminent in the first half of this century.

A Bedouin Peace Treaty In Safad

By Mahmud Al-Abidi

The author — a native of Safad the historical Palestinian town — narrates the reasons, proceedings and results of a Bedouin peace treaty that took place in Safad in 1939.

Bedouin Poetry

By Roks Bin Za'id Al-Uzaizy

This is the third part of Al-Uzaizy's study on Bedouin poetry. He continues his study of the subjects that Bedouin poetry covered all over the years.

The author cites and analyzes selected Bedouin poems from different parts of the Jordanian desert.

The World of Folklore :

— Book Reviews.
— Reports.
— News.
— Letters to the Editor.

problems. Marriage and one's place in the social strata are affected by his origin.

The author cites different cases, proverbs and folk tales that shed some light on his ideas.

Folklore Studies in Syria

By Dr. Hassan Hammami

Printed books on folklore in Syria are described by Dr. Hassan Hammami, who then goes on to analyze folkloric activities in radio and television.

The author also gives us a glimpse of Ommayyad Folkloric Troupe, and what is being done in Syria in the field of folkloric surveys.

Folklore Studies in India

By Sankar Gupta

Translated by Faruk Jarrar

Folklore studies in India could be dated back to the time when the British administration wanted to make some improvements, and folkloric studies were started to help better understand the Indian people; christian missionaries played a prominent role in these studies.

The study of folklore passed into three stages; the first stage started in 1784. The author describes these stages in detail with reference to Indian history, India's vast lands and India's status as a developong country.

Marriage Traditions In The Village of Lifta
By Hana Siyam

Lifta is a village near Jerusalem; it is the home town of the author.

ENGLISH SUMMARY

By : Faruk Jarrar

Old Popular Streets in Amman

By Abdullah Rashid

Names of old popular streets in Amman, the capital city of Jordan, are analyzed alongwith the different forms of building and housing projects.

The author goes into some detail in describing the famous (Souks) in the city such as the Sugar Market, Animals Market and Blacksmith Market.

Folk Food

By Nimr Hejab

This article is an introduction to the study of folk food. The author also describes the different food manners that are adhered to by all types of people.

The author distinguishes between two types of folk food : everyday food and ceremonial food. Some of the ceremonies in which food is served and are thus described are : religious feasts, funerals, teething and prophet's Birthday.

Origin

By Nimr Serhan

Folk people are concerned about one's origin and in many cases they are fanatic when it comes to origin. This concern, as the author sees it - reflects on people's everyday life and

Al-Fonoon Al-Sha'beyya

A Quarterly Journal

for Folklore

Published by

Department of Culture and Arts

Tel. 36391 - P. O. B. 6140

Amman - Jordan

Volume 2, No. 2, May 1975